وليدة عتو

رغبات



قصص قصيرة

رغبات

• رغبات : قصص قصيرة
• وليدة عتّو
• الطبعة الأولى ٢٠٠٢

وليدة عتّو

رغبات

قصص قصيرة

إهداء

أُطفأ احتراق دموعي بهذه الكلمات المهداة إلى نبـــض قلبـــي..
روز..

روز.. من شرفة أحلامي المشرعة لاحتضـــان طيفـــك.. يقبـــل وجهك كقمر يضـيء عالمي.. ويبدد وحشة غربتي.. وروحك تحـــوم كفراشة.. حول أيامي.. ورسمك ينساب بين صفحات أفكاري.. أراكِ على صفحات وجداني.. أقرؤك بين مفردات أشعاري.. التي تجســـد صورة صغيرتي.. روز.. إن كلمة الحب تطلق لك. وباسمك.. أيتهـا الأميرة المختالة في خطواتك.. آه يا حبيبتي.. من غربـــة الحيـــاة.. وفراق الروح.. إنكِ يا عمري روح تسري في جسدي.. حلم يدغـــدغ خيالي.. نسمة تداعب روحي.. روز. إنني أبكي بعدك.. أحترق فـــي نار فراقك.. أشكي آهاتي للزمن.. للدنيا.. لكل يدٍ تسببت في بعدك.. أيتها القمر الساطع في سماء أيامي.. روز.. كم أحلم في لقاءكِ.. كم أراكِ إشراقة شمس ساطعة في عالمي.. تختال ضحكتك أمامي.. تدنو مني.. تعانقني.. تضمني.. أنصهر معها أقبلها.. أتلمسها.. أرشـــفها.. كأس الحياة.. جرعة دواء.. فتعيد إلي عافيتي إنكِ فرحة عمري يـــا

صغيرتي.. زهرة حديقتي.. نبضة قلبي.. رعشة روحي.. إن صوتكِ العذب يسرح في أجواء سمعي.. يرافقنـــــي.. يحجـــب عنـــي بـــاقي الأصوات

خطواتك ترافقني بكل مكان.. تحرس قلبي من غدر الطرقات..

إنكِ تأتيني يا حبيبتي في لحظاتي التعبة.. من فضاءات خيالي.. تمتد يدكِ.. تمسح عرق ضعفي.. صوتكِ عبر الهاتف.. يعيد إلي قوتـــــي.. يمنحني الحياة.. روز.. أشعر بالموت لقساوة بعـــــدكِ.. وأذوب فـــي عالمنا الجميل.. عالم الأمومة والطفلة المدللة.. التي وهبتها عمري.. روز.. ما قيمة الحياة وجمال الأشياء من غيركِ.

روز.. عندما أجلس على كنبتي يا حبيبتي.. أراكِ تقبلين علـــــي من بين الأبواب من مساحات الممر وأنتِ ترقصين كحورية البحر.. كفراشة تتنقل فوق أوراق الزهور

روز.. يا قيثارة روحي.. إنني جسد بـــالٍ.. لا روح فيـــه.. لأن الروح قد خرجت لحظة وداعكِ.. إن روحي ضاقت من عذاب قلبـــي وأنين أوجاعي.. وعمري.. لم يبقَ منه سوى دقـــات ســـاعة تقـــف عقاربها على لحظات لقاءك.

روز.. تغتالني ذكرى أيامنا وليالينا الماضية.. التي كنـــت فيهـــا نجمة جلساتنا.. وعروسة بيتنا.. وروزة شرفتنا.. يفوح منهـــا بخـــار عطركِ..

روز.. من شوق نفسي تصرخ آهات قلبي.. ومن وجع أيامي..

تئن جراح روحي من طول البعاد.. تتوارى ضحكة العيون بين أطياف السؤال عن مكان وجودكِ تسألُ ربوع الديار عن أحبابها.. عن التي كانت ساكنتها.

روز.. آه يا عمري.. من أوجاع روحي في ليالي بعدكِ.. يا ربيع أيامي.. وزهرة اللوتس في نافذة غرفتي.. إنكِ ساكنة يا صغيرتي بين أجفاني.. حلم يرفرف بين أجنحة الليالي.. إن لحظاتي الفرحة تنادي ضحكتكِ الرنانة.. وكأنها نغمة ناي ترقص بين أزهار الهضاب.. روز.. أيتها الطفلة المدللة.. إن أيامي الباكية تنتظر إشراقة وجهكِ الجميل كي يضيء ظلمة لحظاتي.. فكل الأشياء في داخلي تصرخ وتنادي.. تئن أنين المحتضر فتتلاشى روحي.. ويختنق صوتي.. وتموت جراحي.. إنكِ ما زلتِ يا صغيرتي.. طفلة تعيشين بين أحشائي.. فلا أدري كيف سارت بكِ ا لأيام.. وأصبحتِ بدراً يملأ الدنيا نور.. روز.. يا قمر لياليّ.. وشمعة عمري.. آه من هذا اللهيب الذي يأكل قلبي.. وبركان الشوق الذي يندلع في حنايا روحي.

روز.. ماذا أكتب لكِ.. وأنا بعيدة في غربتي.. فالكلمات تصرخ تحت ريشة القلم من ثقل حملها.. والسطور تشكو من أوجاع جراحي.. فإلى من أبث شكواي وعذاب نفسي.. ولوعة بعدكِ.. لمن أبوح بآهات قلبي الموجعة.. وتأجج حنيني هل أبوح لكِ.. أم لزهور ربيعكِ.. أم لعطر شعرك.. ولو فعلتُ ذلك.. يا عمري.. لبكت زوايا غرفتي.. ونامت أغصان ورودكِ.. وجفت ماء الجداول.. وماتت

أوراق الياسمين حزناً على حزني.. فأهرب إلـــى خيـــالي.. أنـــاجي طيفكِ.. أعانق روحكِ.. أضمكِ إلى صدري.. أقبلك وأنصهـــر فـــي لهيب الشوق.. وأغوص إلى أعمـــاق مـــاضي أيامنـــا.. ولحظاتنـــا الجميلة.. وعالم طفولتكِ التي كانت ترقص لها السعادة.. روز.. يـــا رفيقة عمري وونيسة روحي.. إنكِ ساكنة في أعماق قلبي.. نائمة بين أجفاني.. حلم.. تغفو عليه أيامي.. وأمل احتضنه بين ثنايا الروح

روز.. إن روحي تفتقدكِ.. وقلبي يناديكِ.. وأيامي تمـــوت مـــن طول فراقكِ.

روز.. كيف تمضي فيني الأيام.. وتمر الليالي.. وقمركِ غـــائب من سماء بيتي

روز.. يا وجعي.. ووجع الليالي.. ألم تشتاق روحكِ إلـــى دفء أحضاني؟

فأجفاني تبكيكِ.. وروحي تتمزق من أوجاعها.. يا حبيبتي.. فلا أجد سوى هذه السطور أهديها لكِ.. من صحراء السعودية.. إلى ربيع عمركِ.. وجبال وهضـــاب ســـورية الحبيبـــة.. المكللـــة بالأشـــجار والورود.. ونبعها بردى الذي عزفه صوت فيروز.. ونقشه التـــاريخ على جدران وجداننا.

تداعيات

في حالة الفقر المدقع يحلم المرء بالمال الوفير والغنى الفـــاحش ويمني النفس وهو يحتضن الأحلام... للحصول على المال ويصل به الأمر إلى أن يقول في أحيانٍ كثيرةٍ: أُعطي عشر سنين من عمـــري مقابل أن أصبح غنياً، وعصام الذي وُلِد من أســـرة فقـيرة بائسـة وحرمته الحياة من أشياء كثيرة كان ينعم بها رفاقه وكان يرى نظرة الاستخفاف في عيونهم وابتعادهم عنه... لأنه من مستوى أقل فيهرب إلى أحلامه.. يعانقها.. ويعيش بها سنين طويلـــة... مضـــى العمـــر وزحفت الشيخوخة كشبح مرعب وابتلع الشيب ألوان شعره كما يبتلع الظلام أشعة الشمس.. سارت به الأيام ثقيلة مرة... يسكن الحرمـــان نفسه.. وفي لحظة غفوة من الزمن المعادي له وجـــد نفســه غنيـاً وخزائنه ملأى برزم المال التي تفرح المحروم وتزيـــد مـــن جشـــع الغني. وراح يتأمل هذه الرزم المكدســـة والســـعادة ترقـص علـــى صفحات ووجهه والفرحة تضحك في عيونه.. مد يده إلـــى الخزانـــة بحركة خفيفة وهوة يدندن بأغنية راقصة وأخرج عـــدة رزم ماليـــة وأخفاها في جيوبه وأغلق باب الخزانة بحركة سريعة وانطلق وهو ما زال يردد تلك الأغنية... خرج من باب شقته مسرعاً وهبط الـــدرج بخفة وكأنه على موعد مع ربيع عمره وعودة شبابه وحرمان أيامـــه وقف عند سيارته الفخمة وفتح بابها وألقى نفسه خلف المقود وانطلق وهو يصفر بلحن أغنية وسار يجوب الشوارع على غـــير هـدى لا يدري إلى أين يتجه ولكن كلما كان يفكر به هو أن يبحث عن متعـــة حُرِم منها سنين شبابه. نصف ساعة ووجـــد نفســـه فـــي الأســـواق

التجارية.. ركن سيارته في مكان قريب... ترجل منها وسار في اتجاه المحلات يستعرض ما في داخلها من بدلٍ وألبسة رجالية وهو ينظر إلى تلك البدل ويقرأ الإعلانات التي ووضعت على صدرها وزجاج الواجهات تحمل العبارات التي تقول إنها للشاب الأنيق وللشاب العصري إلى آخر هذه العبارات... وكلها تنادي الشاب الصغير الذي يفرد لشبابه ويرقص لربيع عمره.

خرجت من صدره تنهيدة عميقة تركها وانصرف... عائداً إلى بيته مكفهر الوجه تعيس النفس يحتضن جراح شبابه ويلملم أوراق خريفه التي أكلتها الأيام المرة... وداستها أقدام الفقر... وتمتم في داخله: كيف أسعد نفسي بهذه النقود التي ملأت خزانتي وحملته الذكرى إلى أيامه التعيسة وربيع عمره عندما كانت هذه الأسواق وتلك البدل تفتح أحضانها وتنثر بين خطواته زهورها... والفقر يحمله بعيداً ويهرب به كي لا تطوله نار الحسرة... نام ليلته وهو مكتئب حزين يسترق النظر بين ساعة وأخرى إلى تلك الخزانة المحملة بالنقود... وكأنه يلعن الدنيا والزمن الذي لا يعطي شيئاً إلا ويأخذ ثمنه.

استيقظ صباحاً وهو يشعر بتكاسل وملل... دخل الحمام ليأخذ حمامه الصباحي ثم ارتدى ثيابه في بطئ... وخرج كالعادة لا يدري إلى أين؟.. وفي رأسه فكرة واحدة هي البحث عن المتعة والسعادة من خلال هذا المال... استقل سيارته وانطلق لا يلوي على شيء جاب كثيراً من الشوارع واجتاز أماكن عديدة دون أن يشعر بنفسه وعندما انتبه وعاد إليه صحوه وجد نفسه أمام باب إحدى الحدائق... أطلق نظرة تأملية فرأى شباباً وفتيات يسيرون إلى جانب بعضهم ويدخلون إلى الحديقة متشابكي الأيدي... يتحاورون ويطلقون ضحكاتهم السعيدة وقد نسي نفسه وهو داخل سيارته سارحاً في أفكاره... وفجأة ركن

السيارة جانباً ترجل منها ودخل باب الحديقة في خطـــوات مـــترددة وثقيلة وراح يتجول في أقسامها، وأناس كثر يســـيرون مــن جانبــه ومعظمهم من الشباب والشابات ترقص الفرحة في عيونهم وتعـــانق روحهم ربيع الحياة ويلعب الحب فوق شفاههم، كانت عيونه ترصـــد كل الأشياء من حوله وشعور الوحدة التي تسكنه مرارتها تمزقــه... فتفتت فؤاده وبينما هو على هذه الحال.. إذ به يرى امرأة في ربيـــع عمرها تسير وحدها... فعزفت نبضات قلبه وغردت أغصان نفســـه وقبل أن يخاطبها كانت نظراتها تذكره بخريف عمره وقرأ في عيونها كل ما كان يريد لسانها قوله فتراجعت خطواته إلى الوراء يجر أذيال الخيبة والفشل وعاد إلى سيارته التي تراءت له بأنها تبكي على مـــا أصابه من تهدمٍ وعذابَ نفسٍ. فرمى نفسه في داخلها وأشغل محركها وانطلق بسرعة جنونية وكأنه يريد أن يسترد الزمـــن الـــذي داســه ومضى دون أن يأخذ منه شيئاً عاد إلى بيته وعذاب الدنيا كلها تنهش روحه والمرارة تجرح حلقه وبدت الحياة أمام مقيتة والأشـــياء مـــن حوله مظلمة. وصل باب عمارته وركن السيارة وترجل منها ودخـــل بيته وقلبه يعتصر ألماً ودماً. تقدم من خزنة النقود ففتحها وراح يقلب رزم الورق المكدسة وهو يقول: بماذا تفيد هذه النقود إذا لـــم تجلـــب السعادة إلى صاحبها ولن ترد له ما سرق الزمن منه ثم صاح بصوت مخنوق... آه لقد جاءت هذه النقود بعد رحيل العمر.. لقـــد تـــأخرت كثيراً... آه كيف أحصل على ما كنت أشتهيه يوم كنت شاباً؟ وبينمـــا هو على هذا الحال إذ به يسمع إعلاناً يصدر عن تلفاز الجـــيران... يعلن عن قيام حفلة غنائية تُحييها مطربة كبيرة ومعهـــا عـــدد مـــن المطربين والمطربات فأسرع إلى تلفازه كيف يتأكد من صحة الخـــبر وعندما أخذ المعلومات عن الزمان والمكان أعاد رزم النقـــود إلـــى جيوبه وأغلق باب الخزانة وأسرع في الخروج وهو يقول: إن هـــذا

الحفل كم حلمت به في السنين الماضية وكم تاقت نفسي لدخول مثـــل هذه الفنادق الكبيرة... الآن سوف أحقق حلمي... وراح يلــوم نفســه كيف لم يخطر بباله مثل هذا الأمر... ركب سيارته وانطلق إلى ذات الفندق وعندما وصل راح ينظر إليه في كثير من الإعجـــاب وهــو يشعر بإحساس الماضي عندما كان يمر من أمامه كمــــرور حشــرة صغيرة... دخل باب الفندق وضربات قلبه تسبقه واتجه نحو عــــامل الاستقبال وهو في حالة انبهار وذهول وكأنه لم يصدق نفسه لدخولــه هذا المكان دون أن يخاف من دفع حساب الفاتورة. بــدت خطواتــه مضطربة ومرتبكة وحين وقف أمام الموظف وهو في حالة ارتبـــاك واضحة لا يعرف كيف يتصرف ولا يدري ماذا يقول فــــراح يلملــم نفسه المبعثرة ويجمع جرأته وقد لاحظ الموظف ارتباكه... فابتسم له وبادره قائلاً: أهلاً وسهلاً يا أستاذ... هل من خدمة... وأطلق صوته المضطرب وقال: أريد الحجز لحفلة الليلية وهنا أرشده الموظف إلى مكان الحجز... وقال له كان بإمكانك الحجز عن طريق الهـــاتف... زاد خجل الرجل.. وانصرف إلى مكان الحجـــز وبعــد الإجــراءات انطلق بسيارته وحاول أن يكون مرحاً وهو يفكر في أشياء مفرحـــة وبدأ ينتظر مرور الوقت. وفي موعد الحفل ارتدى ملابسه وذهـــب قبل الموعد لشدة فرحته... دخل الفندق وأصوات الموسيقى تصـــدح من صالة الحفل... اتجه وأخذ مكانه على طاولة قريبة من المنصـــة وراح يتلفت حوله... وبعد وقت قصير اكتظت الصالـــة بالســاهرين وراح يرصد حركاتهم التي بدت له غريبة وغير مألوفة ثـــم أطـــرق سمعه إلى مقدم الحفل وهو يعلن عن ابتداء الحفـــل وقـــدوم إحـــدى المطربات وعندما دخلت المطربة قوبلت بعاصفـــة مـــن التصفيـــق وأنهت وصلتها ثم جاءت راقصة وقدمت وصلتها وقد قام كثير مــــن الرجال برمي النقود عليها ونهض عصام وتقدم من الراقصة وأخرج

رزمة نقود وراح ينثرها فوق رأسها وهي ترقص ونظراتها معلقة بشاب يجلس أمامها ويرسل لها ابتسامته ولم تكترث لهذا الرجل الذي تركه قطار العمر خلفه وانطلق في مراكب الدنيا... ارتبك عصام لوقفته أمامها ينثر نقوده وهي تنطلق إلى حديقة الشباب تشرب من جمال شبابه المتدفق حيوية وعنفوان. نقل نظراته الحاقدة إليه وتركها... وعاد إلى طاولته يداري ارتباكه وسرح مع أيام شبابه...

وأنهت الراقصة وصلتها وأعلن عن وصول المطربة الكبيرة وعصام شارد الفكر... مضطرب النفس بعيداً عن كل ما يدور حوله... دخلت المطربة واعتلت المنصة وبدأت الموسيقى الخاصة بها تنطلق من آلة العازفين وصفقت لها القلوب قبل الأيدي وانطلقت الأصوات من الحناجر ترحب بها فحيتهم بابتسامة منها وأطلقت صوتها الشجي العذب فانسجم الساهرون مع كلمات الأغنية التي تصهر القلوب العاشقة وسرح كل واحد مع عواطفه وأحاسيسه وعصام بعيد في فكره وتأملاته منطلقاً خارج المكان وبعد انتهاء الحفل عاد إلى بيته وهو أكثر هماً وأعمق حزناً فوقف بجانب سريره وراح يُخرج النقود من جيوبه ويقلبها بين يديه ويعتصرها بين أصابعه ثم رفع يديه عالياً وراح يرميها في الهواء وأطلق أنيناً موجعاً وارتمى أرضاً وراح بنوبة بكاء وهو يقول: ما فائدة المال بعد رحيل العمر فلم يبقَ منه سوى الخريف الذي تساقطت أوراقه... إنني الآن أتمنى أن يعود شبابي ويذهب كل هذا المال. فالشيخوخة شيء مرعب وبينما هو كذلك وإذ بطرقاتٍ على الباب تتعالى وتصل إلى سمعه فنهض مذعوراً على صوت بكاءه... فجلس في سريره وراح يتلفت حوله... فوجد بيته المتواضع بأثاثه البسيط وسريره القديم المتآكل ونهض بسرعة... ووقف أمام المرآة ينظر إلى نفسه ويتحسس جسمه وهو يقول: الحمد لله!.. إنه كان حلماً وليس حقيقة.

ملف الحب
في تلك اللحظات الحائرة بين ذكريات الماضي ولوعة الحاضر

تدور كاميرا الخيال تلتقط صوراً تدغدغ الروح تداعب نبضات القلب يرتمي الفكر بين أحضانها يعانق أطياف حبيب طال بعده واشتد الشوق إليه جلس خلف طاولته انتصبت أمامه صورة مضى على غيابها شهور وراح يستعيد كل ما دار بينهما في آخر لقاءاتهما ولكن ليست كأية امرأة إنها تحمل بداخلها كل صفات الأنثى الحقيقية.

ربما أكون أنا رجل فوضوي وأنسى حساسيتها المفرطة التي لا أستطيع مجاراتها في كل الأوقات.

لقد جنح الشوق به إلى لقاءاتهما الحميمية وراح نزار يقطف من تلك اللقاءات أعمق المشاعر وبدأت تتلاحق الصور الجميلة في خياله.

أمام لوحة حب وقصيدة عشق طبع سطورها على جدران قلبه قبل أن تلمس الورق.

هاجت به الذكرى وتراءى له وجهها الصبوح ونظراتها التي تحمل سحر العالم وأحلام الجمال.

. وانسابت يده وفتح درج الطاولة وأخرج ملفاً أحمر ملتهب السطور أمسك بالورق واحتضن بنظره كل حرف من حروفه وجنح مع الكلمات واندفع مع الصور إلى أقاصي الحالة التي تشابكت في عناق طويل.

انتقل إلى صورتها وحلق مع نظراتها الحالمة التي عزفت

موسيقاها على أوتار الحب.

وبيد هزتها رعشة المعاناة امتدت إلى الرسالة التي تخبره فيهـــا بالرحيل والقطيعة وعدم تحمل تصرفاته الفوضوية دخلت عيناه فـــي حوار مع سطورها التي أصدرت حكمها القاسي أطلق زفــرة حــارة ارتحلت عيناه إلى البعيد لتجوب عالمها الرائع تناول ورقـــة حملــت عضارات قلبه الذي يرقص في دنيا أحلامه وبين أطيـــاف المــاضي ورعشات الذكرى بدأت صور اللقاءات تضيء من شرفة الأيام فراح يرتعش كورقة خريف مرمية.

راحت الأوراق ترتجف بين يديه وهو يقلبها وشريط الذكريـــات تأبى أن تفارقه.

تداعى إليه صوتها العذب كلماتها العاشقة التي تنطوي على أنوثة طاغية فتمايلت الجدران طرباً وتوقفت صورة الماضي فـــي مخيلتـــه وراح يحدق في صورة هي الحاضر والمستقبل وشمس أيامه القادمة.

قفزت النظرات من عينيه شعاعات متلألئة رقصت الفرحة على شفتيه أشرقت الحياة على صفحات وجهه، وانطلق صوته الدافئ فاديا يا إشراقة شمس تحتضن عواطف الثلج، تقف فاديا في بـــاب مكتبـــه والكلمات تغفو على شفتيها تترنم بأنغام كلماته.

ضاعت اللحظات بين أشواق اللقاء وذابت الكلمات بعد الصمـــت وبدأت رحلة اللقاء نسيا العتاب والسؤال عن غيابها.

ولم يذكرا سوى حبهما والشوق الذي يضمهما والحب وحده الذي يتكلم.

انطلقت عيناه برحلة طويلة في وجهها وسارت مركبته في بحر عينيها فهمس لها أني أشتم فيك رائحة التراب وانتشق عطر الحدائـــق فأي سحر في هذه الدنيا يساوي سحر هذه اللحظات؟!

كانت نظراتها تعانق مشاعره التي أضاءت لحظات عالمه، وحين عادت المركبة به قال لها:

فاديا... يا ضحكة الشمس للربيع يا قطرات الندى للزهور، كـم كنت أخاف ألا تأتي.

أجابته بصوتها الذي تغذيه رعشات الحب.

نزار عندما رأيتك صدفة عند صديقك لم أكن أتوقع أن تهزنـي نظراتك وحين دعوتني إلى لقاءك كنت أقرأ كلماتك في عمق صمتك وحين صافحتني مودعاً وقلت لي:

أتمنى زيارتك أحسست بحرارة الدعوة ولوعة الكلمـة فلـم أر نفسي إلا وأنا أمام مكتبك ألبي دعوتك الصامتة قال لها:

إني شاكر لك تلك الزيارة وأتمنى أن لا نعود للمقاطعـة طـال الحوار بينهما ورقص الحب على أحضان اللقاء وراحـت النظـرات ترشف رحيق العمر، وخمر العشق، وبين ما كان وما حدث، صدرت من نزار بضع كلمات تؤكد فوضويته وعدم تغير طباعه.

تلقت فاديا كلماته بامتعاض، وحين غادرته كـانت قـد اتخـذت قراراً بالفراق النهائي...!

ودعته بكلماتها المحزنة وداعاً أيها الحب الذي عزفنـا أنغامـه ونثر شذاه في أرواحنا....

نظرت إليه بعمق، كانت نظرة إشفاق رفعت ذراعهـا وجعلـت يدها في وضع المجزرة..

وقالت لا تبحث عني أيها الحبيب... لن نستطيع الاسـتمرار... أتدري لماذا؟.. لأنك لن تتغير وندت منها تنهيدة عميقـة... وأنـا لا أستطيع التخلي عن صدقي.. وشفافيتي.. فلا تبحث عني بعد اليوم..

على مفترق الطرق

في لحظات التأمل.. حيث اشتبك الحاضر فيهـا مـع المـاضي وارتمت الأحلام بين أحضان المستقبل.. وراحت بنات الأفكار.. تنتقل كفراشة بين محطات الحياة.. وطرق القدر... وتتوغل فـي أعمـاق الذكريات. وراحت تعدو بعيداً إلى أن سجلته.. ورمته في كف القدر الذي يسيِّر كل شيء.. ويصدر أحكامه على مسارات الحيـاة بينمـا قرارات الإنسان تعبث بخطوات الفكر وهي تنتقل كنحلـة أضـاعت خليتها.. فراحت تحط ترحالها في بعض المحطات.. التي عادةً يخطها القدر.. ويقذف بها التعساء منهم والسعداء. وتطول لحظات التـأمل.. ويتعمق الفكر في البحث والتنقيب في جوانب الطرقات الممتدة من... وإلى...

ويطلق نظراته إلى أكوام القمامة منها بتقزز.. فيتركها هربـاً.. حيث تتعثر قدماه في كؤوس المرارة المصطفى على امتداد الطرق.. فيشعر بالحلق يجف.. والقلب يدمي.. والروح يلبسها رداء الحـزن. وتتابع الخطوات سيرها في طريق الحياة.. فتقف على مفترق طرق.. مكان له أهمية كبرى بمسيرة حياته نحو الأعلى.. حيث قطف باقـة من النجاحات التي نالها حامد نتيجة جده وكده المسـتمر المضنـي.. وصراعه مع الفقر والحرمان اللذان اغتالا فرحة الطفولة مـن قلبـه وضحكة الأيام من على شفتيه.. ما طاب للفكر تأملـه والسـير فـي تعرجات الأيام.. راحت أطياف الفرحة ترفرف في رحـاب روحـه وشموع الأمل تضيء.. وصورة الأيام التي حملت له شهادة المحاماة حين صمم على أن ينالها انطلقت نظراتـه تجـوب أرجـاء مكتبـه

الجميل.. وراح يحادث نفسه: إن هذا المكتب.. وهذه النجاحات التي حققتها في طريق المحاماة.. نتيجة تصميمي واختياري.. لقد أردت فكان لي ذلك.. فطافت على شفتيه ابتسامة رضا.. لما وصل إليه.. ومن أطياف الماضي وصورة الحاضر الجميل. لمعت أمام عينيه نجمة.. أضاءت أرجاء حياته.. وأنارت ظلمة لياليه فانطلق إليها.. فوجد فيها روعة الحاضر.. وجمال المستقبل.. وحلم العاشق.. إنها نجمة حبه قال لها: إنكِ رمز للحب.. ومعبد للعشق.. إنكِ حلوتي التي أبحث عنك منذ عرفتُ الحياة.. تعالي يا حلوتي.. ولا تترددي.. لا تقفي طويلاً أمام هذا المفترق.. إنه سيأكل سنين عمركِ.. تعالي يا جميلتي.. أسرعي الخطا كي نبتعد إلى مكان نزرع حبنا.. ونغرف من نهر عشقنا. فوضعت يدها براحة يده.. وانطلقا بعيداً.. حيث مكان العشق في ذلك المطعم الذي تتوسطه بركة ماء.. تعوم فيها عدد من طيور ا لبط.. وعرائش الورد تتدلى على أطراف السور.. وصوت أم كلثوم ينساب مع نسمات الحب بأجمل أغاني العشق.. وهما في رحلة خاصة.. ارتحل كل منهما إلى عالم آخر.. وبلغ الصمت مداه في الوقت التي كانت أجواء الرومانسية تضفي على المكان سحراً من نوع خاص.. والحب يتلألأ داخل العيون الهائمة.. وما هي إلا ساعات حتى خرجا من المطعم وانطلقا يسيران على غير هدى.. وخطواتهما تسبق ظلهما.. فكانا وكأنهما طفلان هربا من المدرسة..

وفي غفوة سيرهما.. وجدا نفسيهما في إحدى الحدائق العامة.. فجلسا على مقعد.. وراحا يتبادلان الأحلام التي تضمهما.. ومن سحر الجلسة والجو ا لرائع.. انطلقت حبيبته الجميلة كما كان يحلو له مناداتها.. تشدو ب أغنية حب.. وراح هو يستمع إليها بلهفة وعاطفة.. كانت أنوار الحديقة تُسحر اللحظات.. وتلتهم الساعات.. مرَّ الوقت بهما.. وعندما أفاقا من حلمهما الساحر.. وجدا الليل قد

تجاوز نصفه.. فغادرا المكان.. يعانق كل منهما أحلام حبه.. وقد ضربا موعداً آخر. وفي الموعد المحدد قصدت مكتبه.. وقد رأته جالساً خلف طاولته يراجع بعض القضايا.. فظلت واقفة تنظر إليه.. وابتسامة شوق تداعب ثغرها.. وما إن رآها.. حتى قفز من فوق كرسيه.. ماداً يده.. يصافحها بحرارة: أهلاً عايدة.. كيف حالك..؟ تفضلي.. دخلت عايدة بخطوات بطيئة تتأمل المكتب.. فوجدته رغم بساطته.. يبدو أنيقاً. قال لها وهو يقدم لها الكرسي: أرجو أن يكون مكتبي قد أعجبك..؟ فردت عليه بهمس: أجل.. إنه جميل!!. ثم جلست.. وخيم عليهما صمت عميق وراح كل منهما يفكر كيف يبدأ الحديث. وعندما عجز لسانهما عن النطق.. راحا يتبادلان النظرات نظرات حيرة وارتباك.. ولكن.. ما هي إلا دقائق.. حتى نهض حامد من خلف طاولته وهو يقول: يا للحماقة..!! إننا جالسان وكأننا في دائرة حكومية.. ثم سار نحو الباب وأغلقه.. ونظر إليها مازحاً:. أعتذر عن استقبال المراجعين.. ثم سحب كرسي وجلس بجانبها وهوة يقول: إن وجودك في حياتي جعل لها معنى وطعماً.. لقد كنت قبل أن ألقاك في دنيا مظلمة.. فأصبح بحياتي نجمة تضيء سماء أيامي.. ومركبة في بحر أحلامي وسوف اعتلي مركبتك.. وأبحر بعيداً.. إلى أقاصي عالمك الجميل. همست له وقد أخذتها سحر كلماته: إن عالمي كان خالٍ من السكان قبل أن تدخل إليه.. ومركبتي ليس لها شراع قبل أن تتسلم قيادتها.. ارتشعت الأصابع في راحة اليدين.. وارتحلت الأرواح إلى عالم العشق.. فمضت لحظات.. حملت حكايا العمر.. بعدها.. تيقظ الفكر.. وعادت الأرواح من رحلتها فقال لها: يجب أن نحضر أنس الجلسة.. الطعام والشراب. ثم خرج.. وحين عاد راح يعد الطعام وهي تنظر إليه بسعادة.. وحين انتهى نظر إليها مبتسماً وقال: تفضلي يا جميلتي.. وأثناء تناول الطعام راح يروي لها قصة

حياته وهي كلها آذان صاغية وقد شدتها إليه مسيرة حياته.. وعظمة كفاحه.. وإقباله على الحياة وبعد الانتهاء من تناول الطعام.. مـــلأت كأسه خمراً وكأسها عصيراً.. ثم أشعل لها سيجارة ولــــه أخـــرى.. وراح يشرب من عينيها كأس الخمر وهو يقول: عـــايدة.. كـــم أنـــا أحبك.. كم أنتِ رائعة.. وكم هو جميل حضورك ورقتك.. أنـــتِ يـــا منى الروح.. أجمل محطة في حياتي.. وسوف أضع فيهـــا ترحـــال العمر.. احتضنته نظراتها.. وضمته عينيها الناعسة وهمست: كم أنا سعيدة بكَ.. فأنتَ الحلم لأجفاني.. والدفء لروحي.

كان حامد يستمع إليها وروحه تجول برحلة فـــي دنيـــا أنوثتهـــا وعبق مشاعرها.. فما كان منه إلا أن أخرج ورقـــة وقلمـــاً وقـــال: خذي.. واكتبي ما سأمليه عليك. ابتسمت بعذوبة وقالت: ماذا؟ مـــاذا سأكتب؟.. فراح ينظم قصائد شعر.. وانطلقت أوتار مشاعره تعزف أجمل الألحان.. وتعالت نبضات قلبه لشرح مفردات قصيدته.. وراح ينثر أطياف أحلامه.. ويملأ كأس غرامه من نهر حبها. وغرف مـــن شهد شفتيها.. ورشف من خمر عينيها العاشـــقتين.. حتـــى أسـكره شرابها.. وذاب مع نسمات هوائها.. وحين توقف عن الكلام.. كانت عايدة قد شعرت بانصهار روحها.. فأســـبلت أجفانهـــا.. وارتحلـــت عيناها في حلم جميل.. تمنت أن لا تصحو منه.. ولكن أيقظها حـــامد من حلمها حين قال لها: اقرئي ما كتبتِ.. فراحت تقرأ تلك الســـطور العطرة التي أفرغ فيها خلجات قلبه.. ثم أخذها وكتبها بخطه.. وعاد الصمت يلفهما.. وراح المنولوج الداخلي في نفوسهم يتكلـــــم.. قـــال حامد: ليتني التقيتُ بكِ منذ زمن لكانت أشياء كثيرة قد تغيرت.. ليتكِ أتيت باكراً لكانت مسيرة علاقتنا أخذت اتجاهاً آخر مغايراً.. ولكـــن ماذا أفعل.. فكل شيء جميل يأتي في حياتي متأخراً.. ولكن.. مهمـــا يكن من أمر.. سوف أعيش معكِ حاضري.. وأجمل ساعات لقاءاتي

بك.. لتفعل الأيام ما يحلو لها.. أما عايدة.. فقد كان حوارها مغايراً..
لقد كانت تخاطبه روحها وهي تقول: حامد.. إن عباراتك التي كتبتها جميلة وعميقة.. تجعل الروح في حالة ذوبان.. ولكن أتحبنـــي بهـذا العمق وهذا البعد؟.. هل حقاً عايدة تحمل لي كل هذا الحب..؟؟ وإلى أي مدى سوف يصل بك هذا الحب...؟ وما هو مصير قلبي معك..؟! هل سيجد عندكَ الراحة والسعادة التي افتقدتهـــا عمـــراً.. أم ســوف يصاب بخيبة أمل..؟؟ ..

وتنهدت بعمق وظلت على صمتها.. وفي هذه اللحظة.. استيقظا من شرودهما على صوت طرقات خفيفة علـــى البـــاب.. فـــاتجهت عيونهما مسرعة نحو الباب.. وإذا بهما أمام مارد يقف ووقفة ذئـــب أمام فريسته.. هناك امرأة وهي واقفة أمامه وقفة ضعف وانكســـار.. دامعة العين.. مرتعدة الأوصال.. تنظر إليه بخوف ورعب.. عيناها فيهما توسل وصمتها فيه رجاء.. وقلبها يصرخ بصـــوت مخنـوق.. رماه حامد بنظرة فاحصة.. ما لبثت أن تحولت إلى نظرات اســتنكار ثم قال: ما الذي أتى بك إلى هنا..؟؟ ألم أنتهي منك منذ زمن طويل.. أرحل ودعني أتابع طريقي الذي اخترته.. لم يعد لك مكان في حياتي قهقه عالياً وكأنه يسخر من الإنسان وقالب: أنا لــم آتِ إليــك الآن.. وسوف يأتي يوم أعود إليك.. أما الآن.. فأبناء جنسك هم الذين يقفون أمامي.. ينتظرون حكمي وقراري في مصيرهم.. ولكـــن لغبـــائهم.. هربوا مني.. جاءوا إليك طالبين النجدة والعون منك وقد جئت مرافقاً كي أتمتع بفشلهم الذريع. سأله باستغراب: عمن تتحدث..؟ قال: عـــن هذه النعجة التي تقف أمام مكتبك.. ألا تراها..؟ نظر حامد إليها ومن معها ثم دعاهم للدخول.. وراحت نظراته الباحثة تجول بينهم.. ثـــم سألها.. من أنتِ؟؟

قالت: أنا جارية في منزل هذا الرجل الذي جعله القدر زوجـــي ونصبه المجتمع حاكماً علي وأعطاه الحق بطردي من بيتي وسلخني عن أولادي.. رماني في الشارع.. وكأنني شيء يريد التخلص منه.. وها قد أتاني ليقرر عودتي.. ويفاوض أهلي ويعرض عليّ شــروطاً يقدر هو ثمنها.. دون أن يعمل قيمة لإنسانيتي ومشاعري.. وأختنــق صوتها.. فلم تستطع إكمال جوابها.. وتابعت حوارها داخل نفســها وكانت حواراتها الداخلية أعمق مرارة مما قالته كانت عــايدة تنظــر إليها وتتابع منولوجها الداخلي وهو يطوف على تقاسيم وجهها فقالت محتجة على استسلامها: يؤلمني أن يصيبكِ هذا ولكن.. يؤلمني أكثر استسلامك بهذا الشكل.. وضعفك الذي يجعلهم يتمادون في استغلالك واستعبادك.. وكانت المرأة تطلق نظرات حائرة.. وحين رأت عــايدة تلك النظرات القلقة.. الباحثة عن شيء قالت لها: أنصحك أيتها المرأة أن تمارسي إنسانيتك وتقرري أنتِ وتختاري بعيــداً عــن أي تــأثير خارجي لأنك الآن تقفين عليِ مفترق طرق.. كوني قوية.. وحطمــي هذه القيود.. ولا تقفي طويلاً على هذا المفترق حائرة قلقــة.. لأنــه سوف يأكل عمرك.. جالت نظرات المرأة الدامعة أرجــاء المكــان.. وانتشلت آه محرقة.. وهمست بصوت عميق كعمق البحر.. مذبــوح كأيام عمرها.. أتطلبين مني الاختيار..؟؟ كيف أختــار وأنــا مقيــدة بسلاسل العبودية والجهل.. فهو يحمل سيفاً يزوده به المجتمع.. وأنــا معزولة السلاح.. هو يملك المال.. وأنا أنتظر منه الحسنة والعطف.. هو يعمل خارجٍ المنزل.. يتصرف كما يشاء وأنا خادمة في بيتــه.. يأمر.. وعليّ الطاعة.. فهل بعد كل هذا التفاوت الذي بيننا.. أستطيع الاختيار.. إنه اختيار صعب.. وغير متكافئ.. أجابتها عــايدة: إنهــا غلطة أبويك.. اللذان حرماك نعمة التعليم والعمل. فارتحلت عيناهــا بنظرة بعيدة وأجابتها بصوت مخنوق: ولكن بوضعي هذا.. ســأبقى

هكذا ضعيفة.. أنتظر العطف والرحمة.. من أي سيد يريد استعبادي..
أطلب العدل فلا أجده.. وهنا انتبه لها سيدها.. فراح ينهرها ويسألها: ماذا تقول لعايدة؟؟. ثم قادها أمامه وكأنها نعجة بعد خروجهم.

سرحت عايدة بنظراتها وأفكارها بعيداً.. وغرقت بصمت عميق.. وحين طال صمتها سألها حامد: ما بك؟؟ وبماذا تفكرين..؟ قالت: إني أفكر في هذه المرأة المسحوقة وهذا المجتمع الذي لا يدري كيف يعيش؟ ولماذا خُلق؟ قال لها: وما الجديد بذلك كي ينتابكِ هذا الخاطر؟ غلف وجهها شيء من الحزن وابتسامة مرة لاحت على شفتيها وقالت: لا جديد في ذلك.. فالمرأة مستعبدة منذ الأزل.. تُباع وتُشترى وتعامل على أنها كائن ضعيف. رد عليها: إن الحياة قاسية على الجميع.. على الرجل قبل المرأة.. فالتغيرات التي طرأت على الحياة العصرية.. جعلت الإنسان بشكله العام مظلوماً مقهوراً قالت: ليس بالقدر الذي عليه المرأة.. ابتسم حامد وهمس بلطف قائلاً إنك متحيزة للمرأة.. ردت: لا.. للست متحيزة لأنه هو الواقع.. وقد رأيت الآن نظرة عينيه منها.. لفها حامد بنظرة دفء وقال: عايدة.. ما لنا وهذه المناقشة.. نحن لا نستطيع تصحيح المجتمع.. دعينا نعيش لحظاتنا.. رقصت على شفتيها ابتسامة رقيقة وقالت: معك حق..!! سار حامد معها شوطاً طويلاً في طريق العشق.. غرف من نهر حبها كؤوس خمر.. وعشقت أجفانه حلمها الرائع.. ولكنه في أوج حلمه امتدت يدٍ كالحراب وانتزعت منه حلمه.. لقد شعر بقبضة القدر تطوق عنقه.. لقد وجد نفسه من جديد يقف أمام مفترق طرق.. صار.. ثار.. غضب.. نظر حوله فوجد من هي الروح لقلبه.. والنور لعينيه والشمعة التي تضيء ظلمة أيامه.. رماها بنظرة فيها خوف وهلع ثم أطلق صوته المخنوق عايدة.. ماذا حدث.. أجابته بصوت مقهور: إنه القدر يا حامد.. علينا أن نرضخ له.. ونعترف به.. لقد

انتهى مشوار حبنا.. سألها والحسرة تأكل روحه: لمـــاذا يـــا أجمــل محطة في حياتي:. أجابته بصوتها المذبوح: هكذا تقتضي الظــروف. لقد التقينا هنا.. أمام هذا المفترق وهنا أيضاً يســير كــلٍ منــا فــي طريقه.. مخلفاً وراءه جرحاً ينزف وقلباً تصهره حمماً من البركـــان. تنهد بضيق وقال: هل لي أن أعلم ما هو السبب.. همست بحـــزن: هناك شيء أقوى مني ومنك ومن الحب ذاته.. تقدم منها وأمسكها من كتفها وراح يهزها وهو يقول: عايدة.. أنا أمضيــتُ ســنين عمــري متمرداً.. لا أرضخ إلى لعبة القدر.. ولم أدع مصـــيري بيــن يــدي الآخرين فكيف الآن تدعي هــذا المفــترق اللعيــن يســخر منــي.. ويقهرني.. ألا يؤلمك هذا..؟ ألا تحزنكِ هزيمتي..؟. أجابته ونـــبرات صوتها فيه رعشة البكاء.. أجل إنه يقتلني ولكن لا مفر مـــن ذلـــك.. عليكَ أن تُقر بأنه لابد للقدر من أن يتدخل في حبنا.. إنه كـــالموت.. حتمي.. في تغيير مصيرنا.. ووضع يده على عينيه وصاح: لا.. لا لن أسمح له أن ينتزع قلبي من جنبي.. صمتت عايدة ولـــم تجـــب.. وراحت دموعها تغسل جراح قلبها.. نظر إليها وقال بصوت رقيـــق دافـء: لماذا هذه الدموع الحارقة ألستِ أنتِ التي أصدر حكمه القاتل على قلبينا.. نظرت إليه من خلال دموعها وقالت: حامد.. هناك أمور أقوى مني تقف في طريق استمرارية حبنا.. دعني أرحل من حيـــاتك ولا تزيد من ألمي.. طافت على شفتيه ابتسامة ساخرة تحمـــل الألـــم نفسه ومرارة روحه وقال: إذاً ماذا أقول أنا.. يا من كنـــتِ النجمـــة المضيئة في سماء أيامي كيف ستكون أيامي بعدك!!؟ إني بافتقـــادكِ سوف أفتقد ركناً كبيراً من حياتي فأنا لا أتخيل الحياة بدونك. ثم تنهد بألم وقال: ليتني لم أركِ يا عايدة.. ليتني لم أعـــرف الحـــب معـــك. أمسكت يده وضغطت عليها وهي تقول: آه.. آه كم هو مميت وقـــاتل بعدكَ.. رد بصوت باكي: آه.. يا حبيبتي.. ســـتحزن أيـــامي عليـــكِ

وتبكيكِ لياليَّ الباردة.. عانقته عينيها العاشقة وقالت: حامد.. أريد منك شيء.. وهو أن تجعليني ذكرى حلوة في حياتك القادمة.

ازرعني زهرة عَطرة في نسمات لحظاتك.. استنشقي نسمة في عطر أنفاسك اجعلني نور لياليك.. عندما تكون حالكة السواد.. دعني أعيش في قلبكِ طيلة سنينك القادمة.. هذا كل ما أريده. وانطلقت هاربة من نار لحظتهما المحرقة حاول الكلام.. أراد إيقافها.. لكنها كانت قد مضت مسرعة الخطا.. فظل واقفاً أمام هذا المفترق ينظر إليه بحنق وتابع جنازة قلبه الصريع.. ويرثي روحه الحزينة..

عواطف متقاطعة

في لحظة اختفاء الشمس بين أحضان الليلي تنطلق طائرة من مطار بيروت الدولي لتحلق في السماء حاملة بين طيات أجنحتها ألوان محزنة شكلتها جراح القلوب ودموع ترتجي يد حاملة منديل يجففها ويحميها من غدر النازين رسمتها ريشة فنية خرجت من تحت أنقاض مملكاتنا ومن بين أوراق الزهور التي ماتت من رائحة البارود وشظايا القنابل. حلقت الطائرة واتجهت إلى مطار القاهرة بلاد الفن والجمال وروح الحياة وعندما هبطت على أرضها الطيبة حملت ناهد لوحاتها في سيارة وانطلقت إلى أقرب فندق في مصر الجديدة وحطت ترِحالها في غرفة أنيقة كأناقتها وجميلة كجمال قامتها ووضعت لوحاتها في ركن منها وغيرت ثيابها واستلقت فوق سرير وثير وغطت في نوم عميق. في الصباح استيقظت باكراً؟ واتصلت بصديقتها منى وأخبرتها بأنها وصلت إلى القاهرة ليلة أمسٍ ودعتها إلى زيارتها بعد أن زودتها باسم الفندق. جاءت منى وأخذتْ ناهد بين أحضانها وراحت تمطرها بالقبل وتسألها عن أهلها وأمها التي انقطعت عن زيارتهم منذ عدة سنين وعاتبتها عن عدم اتصالها بها وإخبارها عن قدومها كي تستقبلها في المطار فقالت لها ناهد: والله يا منى إن الوضع السيء في لبنان هو سبب انقطاعنا عنكم فأنت تعلمين الظروف الأمنية التي تمر بها بلدنا والحروب التي نحن نعيش بها. تنهدت منى بأسىً وقالت: أجل إني أعرف يا ناهد وكلنا يعيش هذه المأساة ونشارككم آلامكم وجراحكم ونرجو من الله عز وجل أن ينهي الأمور على خير وينصر أمتنا العربية ويحمي لبنان من شر

المعتدين. ثم حاولت منى تغيير مجرى الحديث كي تبعد ناهد عن أجواء الحزن والكآبة فقالت لها: يا ناهد هل جئتِ لتشاركي في المعرض الدولي للفنون التشكيلية. رسمت ابتسامة على ثغرها القرمزي وقالت: أجل، إنني جئتُ من أجل ذلك وقد أحضرت مجموعة لوحات من أجمل ما رسمت وآمل أن تنال الإعجاب وتفوز بالمرتبة الأولى.

ربتت على كتفها وقالت لها: آمل ذلك وأتمنى لك كل النجاح والتقدم في طريق فنك الرائع. وقد أطالا الحديث الودي وكانت ناهد خلال حديثها تتنقل في أرجاء الغرفة ململمة أشياءها ثم قالت لمنى: عزيزتي؛ أرجو المعذرة لأنني سوف أنشغل عنك قليلاً إذ أنني سآخذ حماماً سريعاً ثم نخرج معاً. همست منى: إذنك معك وتصرفي براحتك فأنا لست غريبة عنك ولكن أسرعي كي نخرج باكراً. دخلت ناهد الحمام وأنهته بسرعة وعندما خرجت منه وجدت منى تتفحص لوحاتها. أطلقت ضحكة خفيفة وقالت لها: هل أعجبتكِ اللوحات؟ وماذا رأيت فيها؟ التفتت منى إليها وقالت: إنها لوحات رائعة وأتوقع لها الفوز، إنها تحمل جمال لبنان رغم الجرح الروحي وصرخات الزهور ارتدت ثيابها على عجل ووضعت مكياجها وصففت شعرها الذهبي وحملت حقيبتها وخرجت مع منى ذهبت إلى مقر المعرض وقابلت المعنيين فيه وأعلنت عن ووصولها وأخذت موعداً لإحضار لوحاتها وعندما خرجتا من مقر المعرض قالت لها منى: ناهد، الآن سوف نذهب إلى بيتنا لأن أمي تنتظر قدومنا فهي تعد لكِ الطعام منذ الصباح. لفت يدها حول خصر صديقتها وقالت لها وهي تطلق ضحكة عريضة: إن أمك لا تكف عن عاداتها فهي تعبر عن محبتها للضيف أو الصديق في تقديم أنواع الطعام. لكزتها منى من كتفها وقالت لها: أنت لست ضيفة يا ناهد أنت أختٌ لي وأمي تعتبرك بمثابة

ابنة لها شكرتها ناهد واستقلتا سيارة وانطلقتا إلى بيت منـــى ولـــدى دخولهما البيت أقبلت أم منى مرحبة بناهد بحرارة فاتحـــة أحضانهـــا تضم ناهد وتقبلها وتسألها عن أمها وأهلها وقد أسرعت فـــي إعـــداد الطعام فرشت الطاولة وراحت تضع عليها أصناف عديـــدة وجلســـن حول المائدة وطال الحوار في أمور كثيرة ومتشعبة وبعد الغداء أخذنا قسطاً من الراحة وعندما استيقظنا من قيلولة الظهيرة همست منى في إذن ناهد: ما رأيك لو تذهبين معي غداً إلى سامح حيث أعرفك عليه وتقدمي له بنفسك بطاقة دعوى لحضور افتتاح المعرض. قالت نـــاهد بلهجة لا مبالية: ومن يكون سامح هذا. ضحكت منى بخبث وقـــالت: إنه صديق. التفتت إليها ناهد وقالت: إنه صديق! إم. صديق أم حبيب؟ أجابتها ضاحكة: الاثنين معاً. غمزتها ناهد وقالت: يا ماكرة!! إنك لم تحكي لي عنه. همست منى: لم يكن هناك مجال لذلك. هيا تعالي الآن نذهب إليه وفي الطريق أحدثك عنه وأحكي لك كيف تعرفت عليه وما هي مشاريعنا. تأبطتا ذراع بعضهما وانطلقتا إلى الشركة التي يعمـــل بها سامح وطيلة الطريق كانت منى تحكي لها عن سامح وعلاقتهـــا الجميلة به وحبها له وعظمة حبه لها. دخلتا مبنى الشركة واتجهتا إلى غرفة المحاسبة وعند الباب توقفتا لحظة رتبت منى شعرها وصـــدر بلوزتها وتنحنحت وطرقت الباب ودخلت قبل أن تسمع الجواب مـــن الداخل. وعندما رآها سامح نهض من خلف طاولته وهو يرحب بها: أهلاً..! أهلاً منى.. تفضلي. تقدمت منى متأبطة ذراع نـــاهد ومـــدت يدها تصافحه بحرارة ثم تقدمت ناهد ومـــدت يدهـــا تصافحـــه وقـــد صافحها بمودة وحرارة وهو يقول: أهلاً وسهلاً. ابتسمت منى وقالت له بمرح: إنها صديقتي ناهد... فنانة تشكيلية من لبنان كرر ترحابـــه وقدم لها كرسيين وقال: تفضلا بالجلوس جلست ناهد ومنى. بينما كان عادل صديق سامح جالس خلف طاولة بعيـــدة قليـــلاً عنـــه يراجـــع

الحسابات والفواتير. إنه شاب طيب ويحمل خجل الرجل الذي ليس له مغامرات ومشاكل وهو من أسرة كريمة وأمه شاعرة عودته على الأدب في التعامل والتهذيب وبينما هو غارق في أرقامه وحساباته وإذ به يسمع صوتاً ساحراً كقطعة سيمفونية نهض رأسه كي يرى من أين أتى هذا الصوت وإذا به أمام لوحة فنية إلهية صنعها الخالق. نفض رأسه ونظر إلى الورق الذي أمامه ثم عاد ورفع رأسه إلى أعلى وقد تسمرت نظراته على صاحبة الصوت الرخيم وقد سقط القلم من يده فوضع يده تحت ذقنه وأطلق لنظراته العنان تجول في عالم هذه المرأة التي خطفت روحه وسحره بريقها لدقائق وكأنه في غيبوبة صحى منها وراح يفكر: من هذه المرأة التي برفقة منى؟ يجب أن يجد حجة يتعرف بها على هذه الساحرة.. لحظات: وقد قفزت إلى رأسه فكرة، أخذ عدة أوراق ونهض من خلف الطاولة وتقدم من سامح.. ألقى التحية فرحب به سامح قائلاً: أهلا.. أهلاً طارق.. أقدم لك الفنانة التشكيلية ناهد صديقة منى من لبنان تقدم طارق منها ومد يده يصافحها مرحباً: تشرفنا يا أستاذة ناهد. وقد ترك يدها ترتاح براحة يده، لحظة.. ثم سحبت يدها بلطف فتابع سلامه لمنى يصافحها ويرحب بها وراح يسأل سامح عن بعض الفواتير وعاد إلى خلف طاولته دقائق.. ثم عاد بعدها يحمل كرسي يضعه قرب سامح ويجلس إلى جانبه وراح يشاركهم الحديث ويستمع إلى حوارهم وكان طيلة الجلسة يسترق النظر إلى ناهد وقد لاحظت ناهد تلك النظرات فكانت تشعر بالخجل والارتباك وقبل انصرافهما أخرجت ناهد بطاقتي دعوى وقدمت واحدة لسامح وأخرى لطارق وهي تقول لهما: أرجو حضوركما افتتاح المعرض ومدت يدها مودعة سامح وهو يقول لها هازاً يدها بحرارة: شكراً لزيارتكِ ودعوتكِ الكريمة ونقلت يدها إلى يد طارق تودعه وهي تقول: سوف انتظر قدومكما. حفظ طارق على

يدها وظل محتفظ بها: شكراً لدعوتك وسوف نحضر إن شاء الله وكانت ابتسامته تعانق جمالها ونظراته التي تحمل الكثير من الود والدفء. حاولت سحب يدها لكنه ظل ممسكاً بها وهو يقول: أستاذة ناهد.. هل لي من طلب قالت: تفضل اطلب ما شئت وقد ظننت أنه سوف يطلب شيء بخصوص رسوماتها ولوحاتها لكنه قال: إنك ضيفة عزيزة من بلد عزيز وغالي ويجب علينا إكرامك والاحتفاء بك لذا أتقدم بدعوتك على العشاء مساء هذا اليوم ومع سامح ومنى طبعاً فآمل منك أن لا ترفضي دعوتي هذه. طافت ابتسامتها الحلوة على صفحات وجهها وقالت له: أشكر لك هذه الدعوى ولكنني اليوم مشغولة وليس لدي وقت قال بسرعة وكأنه خشي أن تجد عذراً: حسناً ما وراءك غداً.. ما رأيك دعوة على الغداء.. لا تقولي أنك مشغولة لأنك مهما كانت الظروف سوف تتغدين في مكان ما. رقصت الضحكة في عيونها وقالت له: حسناً سأحاول. قال بحزم: بل هذا وعد ولن أقبل أي عذر. سوف نمر عليك نحن الثلاثة الساعة الثانية ونأخذك معنا. هزت يدها التي ما زال يحتفظ بها في راحة يده وقالت له: حسناً سوف انتظركم وسحبت يدها بلطف وكان سامح ومنى واقفين يستمعان لهذه الدعوة باستغراب لأنه لم يؤخذ رأيهما فيها أولاً وثانياً لأن طارق عمره لم يهتم بمثل هذه الأمور وليس له في عالم النساء. ابتعدت خطواتها وهي تلوح بيدها وتبعتها منى ملوحة بيدها وراح طارق يشيعها بنظراته وسامح يحدق به بدهشة واستغراب وقد بادره بتعليق خفيف خرجت ناهد ومنى من ا لمبنى واستقلتا سيارة وطارت بهما إلى الفندق حسب رغبة ناهد التي اعتذرت لمنى عن الذهاب معها إلى بيتها لأنها تعبة ولديها بعض الأعمال سوف تنجزها إذ أنه لم يبقَ سوى يومين على افتتاح المعرض. نصف ساعة وكانت ناهد أمام الفندق. ترجلت من السيارة ودعت منى للنزول معها لكنها

اعتذرت لأنها يجب أن تكون في البيت. دخلت ناهد غرفتها وتابعت منى طريقها إلى بيتها وعندما دخلت البيت لوحدها سألتها أمها بانزعاج: أين ناهد؟ قالت منى: لقد ذهبت إلى الفندق. تغيرت تعابير وجهها وتقلصت عضلاته مما يدل على عصبية داخلية قائلة: لماذا تركتيها تذهب إلى الفندق؟ ألم أقل لكِ بأنها يجب أن تترك الفندق وتأتي لتقيم معنا؟ قالت منى: ماذا أفعل يا أمي؟ لقد حاولت كثيراً لكنها رفضت وأصرت على إقامتها في الفندق. قالت الأم وهي في حالة إزعاج: ولكن هذا لا يجوز نكون هنا وتنزل في فندق.. ماذا ستقول أمها عنا حين تعلم بذلك؟ قالت منى بيأس: هذه رغبتها يا أمي.. فأنا أتمنى أن تقيم معنا ولكنها لم تقبل. كانت أم منى على صداقة قوية بعائلة ناهد منذ سنين طويلة وكانت العائلتان تقومان بزيارة بعضهما. دخلت ناهد غرفتها وراحت تقوم بإنهاء بعض الأمور التي تخص المعرض وترتب ثيابها في الدولاب. وبينما هي منهمكة في هذه الأمور وإذا بجرس الهاتف يقرع أسرعتِ إليه وتناولت السماعة وهمست: ألو..؟ جاء صوت يقول لها: مساء الخير يا أستاذة ناهد قالت وهي لا تدري من يكلمها: أهلاً وسهلاً.. مساء النور.. من المتحدث..؟ قال: أنا طارق هل نسيتِ صوتي..؟ ابتسمت وقالت: أرجو المعذرة يا أستاذ طارق فأنا لم أعتد صوتك بعد.. وتابعت مازحة: ثم أنك لم تتكلم كثيراً أثناء جلستك معنا لذا لم أحفظ صوتك.. فضحك وقال: آمل اليوم أن تحفظي صوتي. أطلقت ضحكة خفيفة قائلة: أكيد.. لن أنساه بعد اليوم. همس بصوت دافئ: كيف حالك اليوم؟ قالت: إنني بخير وقد حيرها اتصاله ولم تدري ماذا تقول له. صمتت تنتظر إيضاحاً منه ولكنه لم يفعل وكأنه يبحث عن شيء يقوله. مزقت غلاف الصمت حين قالت له: أستاذ طارق.. هل من خدمة أقدمها لك؟ أطلق ضحكة مرتبكة وقال بتلعثم: لقد اتصلت

بكِ أولاً كي أطمئن عليك وثانياً: كي أشــكركِ علــى دعوتــك لــي لحضور المعرض قالت له: إنني شاكرة لك اهتمامكَ بــي والســؤال عني أما بالنسبة للدعوى فأنا يسعدني أن تحضرها وقد سعدت جــداً بتعرفي عليكَ. قال لها وقد فُتح له مجال للحديث: وأنا أيضاً سُــعدت جداً بتعرفي عليك وأتمنى أن نكون أصدقاء. قالت: يشرفني ذلك ثــم خرج الحديث عن نطاق المجاملات وتحول إلى حوار عام حول أمور كثيرة ومتعددة الجوانب وفي نهاية المكالمة ودعها بكلمــات رقيقــة وحميمة بعد أن ذكرها بموعد الغداء وأغلق الهــاتف. نــامت وفــي

عيونها راحة وروحها ترفرف فيها السعادة دون أن تعرف مصدرها إنها في حالة تحليق وقد حاولت تفسير ذلك فلم تستطع هــل مصــدر سعادتها اتصال طارق واهتمامه بهــا؟ أم قــرب انفتــاح المعــرض وجمالية استقبال المشرفين والمعنيين بالمهرجان؟ لقد كان لديها عــدة أمور مفرحة تدعو للسعادة وربما تكون كل هــذه الأمــور مجتمعــة شكلت عندها شيء من الراحة وفيض من السعادة فنامت ولسان حالها يقول: لن أتعب نفسي في البحث عن السبب.. المهم أنني الآن أشــعر بالسعادة. وفي الصباح أيقظتها منى وأمها حين اتصلتا بها من أجــل الاطمئنان عليها وقد تحدثت مع منى بشأن دعوة طارق ولكنهــا لــم تخبرها عن المكالمة التي أجراها معهــا طــارق. أنهــت المكالمــة

وخرجت إلى مقر المعرض. التقت بعدد كبير من الفنانين العرب من بلاد كثيرة مشتركين معها وكونت صداقات مع البعض منهم وتبادلت معهم الحوارات ووجهات النظر حول أنواع الفنون والمواضيع التــي تشكلها ريشة الفنان وقد احتفى فيها كل الفنانين المشــاركين وغــير المشاركين وقد أحضرت لوحاتها إلى قاعة المعرض كباقي الفنــانين وعادت إلى الفندق الساعة الواحدة. دخلت الحمام وبعده بــدأت تعــد نفسها للخروج ولم تكد تنتهي حتى قرع جــرس الهــاتف.. رفعــت

السماعة وقالت: آلو..؟ رد عليها عامل الاستقبال قائلاً: أستاذة ناهد.. يوجد ضيوف بانتظارك قالت: إنني قادمة وأغلقت السماعة وحملت حقيبة يدها وخرجت من الغرفة. دقائق وهبط بها المصعد إلى الطابق الأرضي حيث يوجد الاستقبال خرجت منه.. فوجدت الثلاثة في انتظارها وتقدمت تصافح الجميع ثم خرجوا وركبوا سيارة طارق وقد طلب منها طارق بتواطئ مع سامح ومنى أن تجلس بجواره حاولت الاعتذار كي تترك المكان لسامح ولكن سامح أنقذ الموقف حين قال لها ضاحكاً: إذا كنت تريدين الخير لي دعيني أجلس في المقعد الخلفي إلى جانب منى وأنتِ اجلسي في المكان الذي تحبين. ضحك الجميع وانطلق طارق بعد أن جلست إلى جواره وهو في حالة لا توصف من السعادة. دار حديث متشعب ومشترك إلى أن دخلوا مكان جميل على ضفاف النيل. وهناك كانت جلسة رائعة وضع على الطاولة عدد من أنواع الطعام والمقبلات وشربوا العصير ودار مزاح وضحك. انتهوا من تناول الطعام واتفقوا على الذهاب إلى الأهرامات وهناك جابوا المكان كله وكانت منى تسير إلى جانب سامح وتبتعد به فما يتيح المجال لطارق بالانفراد بناهد والسير إلى جانبها والتحدث معها في أمور كثيرة أغلبها خاصة (حول حياتها وتفكيرها) وقد التقيا في كثير من النقاط وبدا الانسجام والتفاهم يغلب على الحديث وبعد أن انتهوا من جولة الهرم اقترح طارق عليهم سهرة في فرعونية النيل لأنها رائعة ويوجد فيها مطربين وبرنامج جميل وبعد إلحاح كثير قبلت ناهد الدعوة وأقنعوا منى بالموافقة وقالوا لها: اتصلي بأمكِ وقولي لها أنك عند ناهد وسوف تتأخري معها ذهب الجميع إلى الفندق كي تغير ناهد ومنى ثيابهما وطارق وسامح ذهبا إلى البيت هما أيضاً وغيّرا ثيابهما واتفقوا على اللقاء في الساعة التاسعة. انهمك الجميع بالاستعداد للسهرة، في الموعد المحدد كان طارق وسامح على باب

الفندق. خرجت ناهد ومنى.. وركب الأربعة السيارة واتجهوا إلـــى النيل حيث تجسم الفرعونية بروعتها وعظمتها وجماليـــة تصاميمهـــا الداخلية.. نصف ساعة من التجول فيها كانت ناهد تتلفت يميناً وشمالاً وهي تتفحص الديكورات الفرعونية وتبدي إعجابها فيها وقـــد رأت أقسامها الموزعة بين مطاعم راقية وأخرى شـــعبية وفيهـــا قاعـــة للاحتفالات والسهرات الفنية والموسيقا. دخلوا صالة الحفـــلات التـــي فيها برنامج فني جميل. احتلوا طاولة قرب المنصة. بدأت الســـهرة.. وقُدم لهما العشاء وبدأ البرنامج الذي امتد إلى ساعة متأخرة من الليل. في نهاية السهرة عاد كلٍ إلى مقره. دخلت نـــاهد غرفتهـــا وغـــيرت ملابسها وألقت نفسها فوق سريرها وقبل أن تسلم أجفانها للنوم. قُرع جرس الهاتف في غرفتها.. رفعت السماعة.. وإذا بصـــوت طـــارق يهمس لها: مساء الخير..ـــ أهلاً أهلاً يا أستاذ طارق.. كيف حـــالك؟ قال: إنني بخير.. هل نمتِ. قالت: لا لم أنم بعد لكنني في طريقي إلى النوم همس بخجل: إذاً آسف على إزعاجي لك.. قالت: لا.. لا تقـــل هذا.. فنحن أصبحنا أصدقاء قال فرحاً: هل ما تقولينه صحيح؟ أجابت وهي تطلق ضحكة خفيفة: طبعاً.. وهل تشكُ فـــي ذلـــك قـــال: لا.. وأتمنى هذا فمن خلال هذا الشعور اتصلتُ بكِ كي أسمع صوتكِ قبل النوم واطمئن عليكِ وادردش معكِ حول السهرة.. هـــل أعجبتـــكِ..؟ وهل أعجبكِ البرنامج؟ قالت بإعجاب: إنه رائع لقد كانت سهرة جميلة وممتعة.. شكراً لك على هذا الاختيار وعلى دعوتك. قال: بل أشكركِ على قبولكِ دعوتي فقد أسعدتني وأسعدني جداً وجودك معنا بـــل لـــم تكن السهرة جميلة لولا أنتِ فيها. ضحكت بخجل وقالت له: هذا كله يعود لذوقك وطيبة أخلاقك رد عليها في طريقة مســـرحية: أســـتاذة ناهد.. هل سنمضي الوقت في المجاملات. أطلقـــت ضحكـــة عاليـــة وقالت له: هل يوجد حديث آخر لديك؟ صمت برهة قال بعدها: مـــاذا

عندكِ غداً؟ قالت: افتتاح المعرض وسوف أكون هناك باكراً. تـــردد قليلاً قال بعدها: ما رأيك في أن نتناول طعام الغداء معـــاً؟ صـــاحت مازحة: أيضاً!.. ألا يكفي اليوم وتكاليفه؟.. قـــال لهـــا بانزعـــاج: لا تقولي هذا.. ولو عدتِ هذا الكلام فسوف أغضب منك. قالت: أســـتاذ طارق، المسألة ليست مسألة مادة وحسب بل أنه لا يوجد لدي وقـــت غداً.. قال لها: حسناً ممكن بعد انتهـــاء المعـــرض. قـــالت: دعهـــا للظروف فأنا لا أستطيع الآن تأكيد ذلك. ضاقت نفسه لأنه لم يـــأخذ منها موعد قاطع ولكنه قال لها: حسناً كما تحبين. في نهاية المكالمـــة همس لها بصوت فيه الكثير من الدفء والمودة: أتمنى لك ليلة سعيدة ونوماً هادئاً ردت عليه برقة: مع السلامة نامت وفرحة الحياة ترقص بين أجفانها. أما طارق لم يستطع نوماً وهو يفكر فيها ويحاور نفسه: يا ترى هل تفكر فيّ هي الآن؟. هل لفتُ نظرها؟ لقد ظهر عليه تغيّر ملحوظ خلال هذه الأيام مما جعل أمه وأخته تتساءلا عن سبب هـــذا التغيير خاصة تأخره في السهرة فقد أوقع ذلك الخوف والقلق في نفس الأم مما جعلها تفكر في سؤاله. وقفت أمام باب غرفته وطرقته عـــدة طرقات خفيفة وجاءها صوته: الباب مفتوح.. ادخلـــي. فتحـــت الأم الباب بهدوء ودخلت بخطوات هادئة فوجدته مستلقي فـــوق ســـريره والهاتف بجواره. رسمت ابتسامة عريضة على وجهها وتقدمت منـــه وجلست بجواره على حافة السرير بينما هو يحاول النهوض ليجلـــس احتراماً لها ولكنها أشارت له بأن يبقَ كما هو. و ضعت يدها علـــى كتفه ثم انسابت أصابعها بين خصلات شعره وراحت يدها تتنقل بيـــن رأسه وكتفه وهي تقول له: طارق.. أين كنتَ سهران إلى هذه الساعة المتأخرة.. ابتسم وقال لها: كنت مع مجموعة من أصدقـــائي قـــالت وهي ما تزال تحتضن ابتسامتها: ولكنك لم تفعل هذا من قبـــل. ثـــم أصحابك جميعاً ليسوا من أهل السهر. قال لها: لقـــد تعرفـــت علـــى

صديق منذ أيام وهو الذي دعاني إلى هذه السهرة.. ظلت البسمة تزين وجهها وهي تقول له غامزة بعينها: صديق ولا شـــيء آخـر أيهـا الماكر؟ قال وهو يحاول إخفاء عينيه كي لا تكشـــفه: بـل صديـق واعتدل في جلسته.. قالت: لماذا تغيرت ملامحك؟ قال وهو يحـاول المحافظة على هدوئه فأمه ذكية ومثقفة وتستطيع كشفه بسرعة: لا.. أنا لم يتغير وجهي لأن ما أقوله هو ا لصحيح قبلته وهي تقول لـــه: طارق خذ بالك من نفسك أنني أخاف عليـــك يـا حبيبـي وتركتـه وانصرفت وهي تقول له: تصبح على خير رد طارق: وأنت بخير.. وقد تنفس الصعداء حين خروجها. الحمد لله.. لقد انتهى التحقيق على خير.. هكذا ظن.. ولكن أمه لم يقنعها كلامه. حاول النوم فلم يستطع وراح يتقلب فوق سريره إلى وقتٍ طويلٍ لم يدري كيف ومتى نـام.. بينما أمه ظلت تفكر في سبب هذا التغيير الذي جعله يكـذب عليها ولأول مرة في حياته. وضعت احتمال أن تكون فتاة.. فقالت: أتمنـى أن يكون السبب هذا كي أحقق حلمي في زواجه. أما منـــى فعندمـا دخلت البيت وجدت أمها في انتظارها لأن هناك مشكلة وقعت بيـــن أفراد الأسرة وهي طرف في هذه المشكلة لذا كانت تنتظرها. وقـــد قصت عليها ما حدث منذ وصولها قائلة: لقد جاء ابن عمك يتشـــاجر مع أخوتك وهو يطالب بإعلان خطبتك عليه وهدد إذا لم نفعل ذلـــك خلال أيام سوف يحرمنا من حقنا في الشركة التـــي كـان المرحـوم والدك له نصفها وتابعت بضعف وخوف وافقي يا منى... إنه رجـــل معدوم الضمير ويستطيع فعل أي شيء فنحن لا نملك أوراق تثبـــت حقنا، سامحه الله والدك لم يبقِ لنا حق قانوني كان والدك رجل طيب وأمين فلم يخطر له على بال أن يكون أخيه بهذه الجشاعة. تقلصـــت عضلات وجه منى وانطلق الغضب من عيونها وهي تسمع كلام أمها وترى الخوف والضعف فيهما.. صاحت باحتجاج إنه لا يستطيع أكل

حقنا.. البلد فيها قانون وكل من يعمل في الشـــركة يعــرف والـــدي
ويعرف أنه يملك نصف الشركة وتابعت: إنه رجل حقير ونذل وليس
لديه كرامة.. كم من مرة قلت له بأنني لا أحبه ولا أريد الزواج بـــه
فهذا الرجل لا يحمل إحساس.. دخلت في نقاش استعرضت ظـــروف
حياتهم بعد وفاة والدها وتحكم عمها وأولاده في مصيرهم لأن أخوتها
ما زالوا صغاراً لا يستطيعون الدفاع عن أنفسهم ولكن ؟؟؟ كم ســـنة
ويتخرج إخوتها ويطالبون بحقوقهم. نامت منى ليلتها في حالة نفســية
سيئة جداً وقد أعلنت رفضها الزواج من هذا النذل. استيقظت الساعة
التاسعة صباحاً على هاتف من ناهد تذكرها بافتتاح المعرض اليـــوم.
ذهبت ناهد باكراً إلى المعرض وبقيت حتى الساعة الواحـــدة حيــث
عادت إلى الفندق وغيرت ملابسها ونامت ساعتين استيقظت بعدهـــا
لتعد نفسها فقد آنت ساعة الافتتاح تناولت غداء خفيــف مــن بوفيــه
الفندق وارتدت طقم أنيق وزينت شعرها ووضعت مكيـــاج زاد مـــن
سحرها وجمالها وذهبت إلى صالة المعرض وهناك قابلت زملاءهـــا
المشاركين تبادلت معهم التحيات والسلامات وبدت كثـــيرة الحركـــة
والتنقل حيث كانت تنتظر منى وطارق وسامح.. دقائق ودخل الثلاثة
الصالة.. رقصت الفرحة على وجهها وغردت الابتسامة على ثغرها
وعزفت الضحكة موسـيقاها فـــي عيونهـــا.. أســـرعت لاســتقبالهم
والترحيب بهم.. تقدمتهم إلى أمام لوحاتها وتابعت جولتها معهم رغم
أنها كانت تضطر في بعض الأحيان لتركهم كي تشــــرح لـــلزائرين
لوحاتها وعندما فُض المعرض وخرج الزائرين دنا طارق من نـــاهد
وقال لها: إنني أجدد دعوتي لك على العشاء. حاولت الاعتذار ولكنه
قال لها: ما زال هناك متسع من الوقت ولا أقبل أي اعتذار لأن هناك
موضوع هام وضروري أريد التحدث فيه معك. قالت ضاحكة: هـــذا
يعني أن الدعوة موجهة لي وحدي قال: أجل؛ أريدك لوحدك وأرجـــو

أن لا تخبري منى وسامح بهذه الدعوة. صمتت قليلاً تفكر بدافع هـذه الدعوة ثم قالت بعدها: حسناً: أطلب مني أمامهما بأن توصلني إلـى الفندق ومنى سوف تذهب مع سامح على الأغلـب اقـتربت منـى وسامح منهما وقالا لها: هيا لنذهب قالت ناهد تقطع الطريـق علـى منى: أنا أريد العودة إلى الفندق لأنني متعبة. أسرع طارق وقال لها: حسناً أنا أيضاً عائد إلى البيت سأوصلك في طريقي لأن بيتي قريـب من الفندق. قالت منى وهي تطلق ضحكة عالية: تريد توصيلها كـي تنفرد بها فخضب وجهه الاحمرار وقال: بارتباك وتلعثم: لا.. ليـس الأمر هكذا ولكن طريقنا واحد. كان طـارق مـن النـوع الخجـول والمهذب الذي ليس له مغامرات نسائية.. ثم أنتِ تتمنيـن أن ندعـك وحدك مع سامح فلا تدّعي غير ذلك. ضحك الجميع وخرجـوا مـن المعرض. ركبت ناهد بجانب طارق وطار بها وكأنه يخاف من منى وسامح أن يأخذوها منه جابا الشوارع ثم توجها إلى مطعـم هـادئ وجميل. احتلا طاولة منزوية وراحا يتبادلان النظرات بصمت وكـان كل واحد يفكر ماذا يقول للآخر.. دقائق وجاء النادل.. سجل الطلبات وانصرف. لقد بدا الإحراج على وجه ناهد. فهي لأول مـرة تنفـرد بالجلوس مع طارق وكان يلملم نفسه المبعثرة ويجمع شجاعته مزقت ناهد غلاف الصمت حين قالت له: أستاذ طارق.. مـا هـو الأمـر الضروري الذي أصرت علي كي آتي لوحدي لتحدثني عنه. تنحنـح واعتدل في جلسته واتكأ على حافة الطاولة. رمقها بنظـرات تحمـل مزيج من الأحاسيس ثم قال لها: ناهد.. هناك شعور قوي يمتلكني منذ أول يوم رأيتك فيه. حاولت تجاهله وحاولت إلغائه أو إبعاده ولكننـي لم أستطع وراح يكبر ويكبر إلى أن امتلكني رغم المدة القصيرة التي مرت احتقن وجه ناهد من الخجل والارتباك وقالت له: طـارق هـل تظن أن هذه المدة كافية لكي تتحدد فيها المشاعر؟ قال طارق بصدق

أحاسيسه: ناهد أنا لم أقل لك هذا إلا بعد أن تأكدت من كل خلجة في نفسي وبعد أن شعرت بأنك شغلت كل تفكيري فأنا لا أستطيع النوم طوال الليل وأنا أفكر بك حتى أهلي لاحظوا تغييري وانشغالي وراحوا يتسألون عن السبب. إنني منذ أن رأيتك وأنا أعيش في عزلة عن أهلي وعندما أسأل عن ذلك اختلق الأعذار الواهية وأدرك نفسه حيث قال لها: إنني آسف يا ناهد أنني طرحت مشاعري قبل أن أعرف إحساسك نحوي ودون مقدمات فآمل أن يكون قد أصابك من الحب نفس ما أصابني. كانت ناهد تستمع إليه وهي في حالة ذهول ليس من المفاجأة لطرحه لحبه بل من طريقة كلامه واندفاعه في البوح فهو لم يدع لها فرصة الرد.

وكان يتكلم بارتباك أحياناً وجرأة أحياناً أخرى وكل ما يشعر به تطلقه عيونه وتبثها نظراته. صمت قليلاً يسترد أنفاسه وأطرق رأسه وغرس أصابعه بين خصلات شعره ثم مرت يده على وجهه وأمسك بطرف الطاولة بعد ذلك بأصابعه ونظر إليها بعمق وقال لها: ناهد ما هو ردك. تحرك جسدها على المقعد واعتدلت في جلستها واستندت عكسها على الطاولة واليد الأخرى راحت تعبث في كأس الماء وتسلط نظراتها إلى الظاولة وترفع نظرة إليه وقالت: طارق.. إن ما تقوله يفرح قلب كل فتاة ويسعد كل روح تتوق للعشق والحب وأنا رغم مفاجئتي الكبيرة في طرحك هذا الموضوع، ليس لأني لم أكن أحسه من خلال تصرفك واهتمامك بي... بل لسرعة طرحه خلال هذه المدة القصيرة. لقد شعرت بإحساسك تجاهي وأنت تريد مني الرد على هذا السيل المتدفق من الكلام العامر بالأحاسيس وأنا لن أكذب عليك وأقول لك بأنني فوجئت بهذا الإحساس وأنك لم تلتفت نظري بك لا.. لن أقول هذا... بل إني أعترف لك بأنني أحمل لك نفس الإعجاب ونفس المشاعر.. ولكن ليست هذه هي المشكلة. سألها

بلهفة وتنفس بارتياح: ما هي المشكلة إذاً؟.. أنا كـل مشـكلتي هـي
شعورك نحوي. تنهدت بضيق ورحلت بنظراتها بعيداً وقالت: أنا كل
مشكلتي يا طارق هي أنني مخطوبة لشاب اختاره لي والـدي حيـث
اضطررت أن أوافق عليه تحت ضغط الظروف.. سألها طارق: وهل
تحبينه؟. قالت: لا.. لا أحبه ولا أكرهه ومنذ أن عرفتك حتـى الآن
أعيش في حالة صراع نفسي حادة.. كانت تعابير وجهها تحكـي آلام
روحها وعذاب نفسها ونظراتها تحمل عجزها عن اتخاذ أي قـرار.
تنهد طارق بارتياح لأنها تحبه هو. وقصة خطبتها عبارة عن قصـة
خطوبة تقليدية.. وهذه أمرها يحل. انفرجت شـفتيه عـن ابتسـامة
وغردت الفرحة على صفحات وجهه ومد يده للمرة الأولى وأمسـك
بيدها التي ما زالت تعبث في كأس الماء وضغط عليها برفق وهمس:
ناهد.. أمر خطوبتك هذه لاتهمني طالما أنك تشعرين نحوي بـالحب
والإعجاب. فهذه المشكلة سوف نجد لها حلاً.. المهم عندي هو قلبـك
ومشاعرك. سحبت يدها برفق وشبكتها بيدها الأخرى فوق الطاولـة
وراحت تحدق به بصمت وكأنها تريد النفاذ إلى أعماقـه واسـتمداد
القوى من عزيمته وقالت له: كيف تقول أن أمر خطوبتي سهل أنـت
لا تعرف والدي.. إنه رجل حازم ولا يتراجع عن كلمة قالها ولا عن
وعد قطعه على نفسه صمتها في نظراته العاشقة وقال لها: إن الحب
أقوى من أي شيء في الدنيا.. إنه يصنع المعجزات. وألصق صـدره
في الطاولة ومد عنقه إلى الأمام حيث اقترب وجهـه مـن وجههـا
وترك أصابعه تنساب في راحة يدها ثم أمسك يديها بكلتا يديه ورفعها
إلى شفتيه ولثمها بحرارة المحب ولهفة العاشق راحت يديها ترتعـش
بين يديه في خليط من التفاعلات الحسية. طالت جلستهما وقـد بثـا
لواعجِ القلوب وأحاسيس الروح ولم يخرجا إلا في ساعة متأخرة من
الليل متجهين إلى الفندق وفي الطريق قال لها: نـاهد.. إن إقـامتك

بالفندق غير مريحة لك.. وقد كنت سأقول لك هذا منذ أول يوم رأيتك فيه لولا خوفي من أن تسيء فهمي. ابتسمت وقالت: وأين تريدني أن أقيم؟.. لقد عرضت علي منى الإقامة عندها ولكني لم أقبل.. فأنـــا لا أرتاح إلا في مكان مستقل. صمت برهة قال بعدها: لـــدي فكــرة.. أرجو أن توافقي عليها. همست: ما هي. رد: لــدي شــقة مفروشــة ومغلقة لا يسكنها أحد ما رأيك لو أعطيتك مفتاحها وأقمت فيها طيلــة مدة وجودك هنا؟ قالت: لا.. لا يجوز أن أسكن في شــقتك. ضحــك وقال: لا تخافي فأنا لن آت إليها ولن أحمل مفتاحها وإذا أتيت بدعوة منك وبإذنك وكضيف فقط وبذلك أطمئن عليك. وأجلب لك كل مـــا تحتاجين إليه.. حاولت التملص والاعتذار ولكنه ظل يلح عليها حتـــى قبلت.. قال: غداً سأمر عليك فترة الظهر لأحاسب الفندق وأنقلك إلى الشقة. قالت: حسناً.. كما تريد. وصلت الفندق ودخلت غرفتها وبدلت ملابسها ثم استلقت فوق سريرها تسترجع كلمـــات طـــارق المحبــة ونظراته العاشقة.. دقائق وإذا بجرس الهاتف يرن.. تناولت السماعة بسرعة ولهفة وهمست: آلو.. انساب صوت طارق وهو يقول لهـــا: اشتقت إليك يا جميلتي.. اشتقت إلى نبرات صوتك العذب. ضحكت بدلع وقالت له برقة ودفء: إنك تتكلم كما لو كنت لـــم تراني منــذ شهور. قال لها باندفاع: إنك لا تدرين ماذا أنت بالنسبة لي وما معنى وجودك في حياتي.. إنني أشتاق إليك وأنت بقربي.. فكيـــف وقــد ابتعدت عني مدة نصف ساعة.. إنني أكره الليل لأنه يأخذك منـــي.. إنني أحبك.. أحبك يا أميرتي. وظل يبثها كلمات الحب والغزل طويلاً وبعد انتهاء المكالمة. نام كل منهما على حلم جميـــل يرفـــرف بيـــن أجفانه. وفي اليوم الثاني بعد أن عاد من عمله.. جاءها قبل أن يذهب إلى بيته ونقلها إلى الشقة وراح يرتب معها الأشياء ثم قال لها: سوف أخرج لأحضر بعض الحاجيات. وخرج قبل أن يسمع ردها. نصـــف

ساعة وعاد حاملاً معه أكياس فيها كل ما يمكـــن أن تحتاجـــه مـــن معلبات ومواد تنظيف وخضار وفواكه وشاي وقهوة وسكر وحليـــب. تناولت منه الأشياء وهي تقول له: طارق.. لم أحضرتَ كـــل هـــذه الأشياء فأنا لا أحتاجها كلها.. ثم عندما أحتاج شيئاً اشتريه بنفسي وأنا عائدة. قال: ربما تحتاجينها.. ثم أنا لا أريدكِ أن تشتري شيء وإلا ما فائدتي.. وإني أحذرك من ذلك.. فأنا اقـــوم بكـــل أعمـــال الطعـــام وغيرها.. وأطلقا ضحكة مشتركة وأخذا الأشياء وأدخلها المطبخ ثـــم جاء بالطعام الجاهز وفرشه فوق الطاولة وأخذها من يدها.. وأجلسها قربه وراح يقطع الخبز ويطعمها وهي تقول له: طارق.. هل أنا طفلة كي تطعمني بيديك. قال: أجل.. إنكِ طفلتي المدللة ولن أدعكِ تـــأكلي بيدك وبعد أن اكتفت من الطعام نهضت كي تغسل يديها. لحـــق بهـــا وأخذ يديها بين يديه وراح يغسلهما وجاء بالفوطة ونشف لها يديها ثم قام برفع الفضلات عن الطاولة: جلس بعد ذلك معها لبعض الوقـــت يقصان القصص. ثم قال لها بعد قليل: يجب أن أعود إلى البيت لأنني تأخرت.. وأمي الآن سوف تمطرني بوابلٍ من الأسئلة وســـيل مـــن التحقيقات لأنها لم تعتد على تأخري عن البيت. قالت مستغربة: وهل أنتَ طفل كي تعتاد وجودك في البيت بشكلٍ دائم. قـــال: لا.. لكنهـــا بدأت تتعامل معي بهذا الحرص والخوف بعد وفاة أخي حيث أننـــــي أصبحت وحيدها.. وأصبحت تخاف علي من كـــل شـــيء. ودعهـــا وانصرف متجهاً إلى بيته.

ولم يكد يدخل البيت حتى حصل ما توقعه حيث اســـــتقبلته أمـــه باحتجاج شديد وأمطرته بسيل من الأسئلة عن سبب تأخره عن موعد الغداء؟ قال لها وهو يحاول أن لا تلتقي عيناه بعينيها: لقد تغديت مـــع زملائي في العمل.. أما ناهد.. فقد أخذتْ قسطاً من الراحة بعد الغداء وفي موعد المعرض ذهبت.. ثم لحق بها طارق وبعده سامح ومنى..

كانت أجواء ربطت بين المشاركين بالود والتقارب الفكري.. وكـــانت ناهد محل أنظار الجميع وإعجابهم وكان أكثر من فنان وأكـــثر مـــن مسؤول عن المعرض قد أبدى إعجابه بها وحاول التقـــرب منهـــا.. ومضت معظم أيام المعرض على هذا المنوال من الروعة والجمـــال حيث كان مهرجاناً ثقافياً وفكرياً.. وكانت ناهد تعيش مع طارق أجمل أيام الحب والعشق فقد جعلها طارق محرابه يمر عليها كل يوم قبـــل ذهابه إلى العمل في الصباح يطعمها إفطارها بيديه.. حيث اعتـــادت الجلوس تنتظره بشغف منذ دخولها الشقة وكأنها ملكة تعتلي عرشها. وطارق يجلس إلى جوارها وكم من مرة يمسك يدها ويرفعهـــا إلـــى شفتيه يقبلها وهو يقول لها: حبيبتي.. إنك جالسة على عرش قلبي.. يا أميرتي الجميلة.. كما تجلسين على هذا الكرسي الذي تبدين فوقه ملكة تُوجت.. آه يا جميلتي.. كم أعشقك وأنت جالسة على رعشـــك هـــذا وأمامك الطاولة التي تحتوي على علبة سجائرك وولاعتك وأوراقـــك وقلمك.. إنني أشعر بالألم يعتصر قلبي من الآن كلما فكـــرتُ كيـــف سأدخل هذه الشقة يوماً ما.. بعد رحيلك.. وكيف سأرى هذا الكرسي خالٍ.. لا تزينيه بالجلوس عليه.. آه يا حلوتي.. من عـــذاب أيـــامك بعدكَ.. فتحتضن ناهد وجهه براحة يديها وتهمس له: وأنا أيضـــاً يـــا طارق.. سوف يفوق عذابي كل عذاب.. سوف أفتقد رعايتك البالغـــة ليَ.. وقربك الدائم مني.. سوف تقتلني الوحدة ببعدك عني. مضـــت فترة المعرض بسرعة ولم يبقَ إلا أيام قليلة وتنتهي وقد اتفقا على أن تظل فترةً.. بعد المعرض.. فهي لن تسافر فـــور انتهـــاء المعـــرض وستبقى إلى أن تجد حلاً لمصير حياتها ومستقبلها فهي لن تســـتطيع الحياة بعيدة عن طارق الذي أحبته بكل جوارحها. وفي المساء عندما التقيا.. فاجأها طارق بدبلة أخرجها من جيبه وأهداها إياهـــا.. لكنهـــا رفضتها لأنها لا تدري ما هو مصير حبهما.. لكنه أصـــر علـــى أن

تقبلها و. حتى وإن لم يكن ما يريدان لتبقى ذكــرى جميلــة تزيــن إصبعها وتحمل معها ذكرى أجمل قصة حب عاشــاها معــاً.. وبثــا سطورها آلامهما ودموعهما.. وأمام إصراره قبلتها حيث ألبسها إياها بإصبعها ثم قبل يدها وقال لها: تصبحين على خير.. وخرج إلى بيته سعيداً. ورآها في اليوم التالي ترتدي الدبلة فكان يحس بقربهــا منــه وحبها له. وفي وقت الظهيرة جلست أمام التلفاز قامت بتشغيله.. وإذا بها تشاهد شيء صعقها.. قفزت من فوق كرسيها وصاحت: ربــاه.. لقد دمروها.. آه يا لبنان.. آه يــا جــراح قانــا.. لقــد أحرقــوكِ.. المجرمون.. اغتالوا بسمتك.. شوهوا جمال وجهكِ.. احرقــوا ربيــع حدائقكِ. وانفجرت في بكاءٍ مرير.. وعويلٍ محرقٍ. وقد تسمرت أمام التلفاز تتابع الأخبار وهي تعرض القصف المدمــر والقنــابل التــي تساقطت على سكان قانا. رأت بشاعة ما حلّ فــي لبنــان.. ومئــات الضحايا الذين يموتون تحت الأنقاض أو بشظايا القنابل. بينمــا هــي على هذا الحال وإذ بالباب يُطرق. وعندما فتحــت لاح لهــا وجــه طارق.. رأى الحالة الهستيرية التي تعتريها والغضب والدموع تكلــل وجهها. ذُهل وتملكه الخوف سألها برعب: ماذا دهاكِ يا حبيبتــي؟.. ماذا يجري؟.. هل حصل مكروه لأحد؟.. ماذا أصابكِ يــا أميرتي الصغيرة؟.. أخفت وجهها بين يديها وهي تجهش بالبكاء وتقول: لقــد أحرقوا قانا يا طارق.. دمروا بيوتها وقتلــوا ســكانها.. واغتصبــوا عفتها.. سأل: عن أي شيء تتحدثين. قالت من بين دموعها وبصوت مبحوح: الطغاة الإسرائيليون.. لقد ضربوا المواطنين العزل في قانا.. ألم تدري..؟ قال: لا.. أنتِ تعلمين أنه لا يوجد تلفاز في مكان عملي ولا حتى مذياع. ردت: اجلس وشاهد فظائع جرائــم إســرائيل فــي لبنان.. والعالم كله يشاهد الآن ذلك بصمــت وأكيــد يقــف موقــف المتفرج.. وكأنهم يشاهدون فيلم أمريكي يستمعون بعرض مشــاهده..

ويشيدون بذكاء مخرجه وتقنية الفنيين. ثم صاحت بصوت مكتوم: آه يا لبنان.. يا حبيبة قلبي.. يا عروس الشرق.. لقد شوهوا جمالك.. أحرقوا فستان زفافك.. والأمة العربية تسير في جنازتك وتأخذ التعازي فيكِ.. وتقرأ القرآن على روحك.. وتدعي لكِ بالرحمة. كانت تبكي بلوعة.. وتتكلم بحرقة وطارق يحاول تهدئتها والتخفيف عنها بكلمات أصغر بكثير من هذا الموقف إذ أن جراحها بليغة وآلامها قاتلة. دنا منها وأخذها بحضنه وراح يطبطب على أكتافها ويمسح دموعها بدفءِ روحه. ظلت على هذه الحالة أكثر من ساعتين.. كفت بعدها عن البكاء وقالت لطارق: إنني سأسافر غداً يا طارق.. قال بدهشة لاتخاذها هذا القرار المفاجئ: كيف تسافرين والمعرض لم ينتهِ بعد.. ثم كيف تدخلين لبنان والنيران مندلعة في الشوارع والقتلى ملأت المشافي. ردت بتصميم: طارق.. كيف لا أسافر وبلدي يحترق وأبناؤه يقتلون.. لبنان حملتني في أحشائها وأرضعتني من ثدييها.. نبت مع حبات أرزها وتمرغت طفولتي على ترابها إنها الآن بحاجة إلي بعد أن كبرتني. قال لها: ناهد.. ماذا بإمكانك أن تقدمي لها. قالت والدموع تطفر من عينيها: أستطيع أن أقدم حبي لها.. وعودتي إلى أرضها لأكون بجانب منكوبيها.. طارق.. إنها لبنان.. ألا تدري ماذا تعني.. إنها جريحة ويجب أن أضمد جراحها فأنا منذ سنين طويلة أعمل مع المنظمة الوطنية وعلي أن أكون هناك.. أمسح دموع الأمهات.. لبنان الآن بحاجة لكل يدٍ عربية تتكاتف معها وتساعدها على الصمود وتطفأ نيران حرائقها. دمعت عينا طارق.. وكان تأثره شديد. قال لها بصوتٍ أجش: اذهبي يا ناهد.. اذهبي إلى لبنانك.. كلنا في حالة ألم وقلوبنا معك ومع جراح لبنان فحزننا ليس بأقل من حزنكِ يا عروس لبنان.. يا عروس قانا.. اذهبي.. واطلب لكِ من الله الحماية وأن يكون معكِ.. ومع لبنانكِ. ثم أمسك يديها وراح ينظر إلى

الدبلة التي ألبسها إياها يوم أمس وطلب منها أن تكون رابطاً بينهمـــا بعد سفرها وكي تجعلها تعود إليه. قال لها: ناهد.. لا مجال في هــذه الظروف أن أحدثك عن حبنا ورباطنا والمستقبل الذي رسمناه ولكني أرجو منك أن تذكريني كلما لمست يدكِ هذه الدبلة إنها شـــاهد علـــى حبنا. كأن قلبي أحس بأنه سوف يحدث شيء ما لذا اشـــتريتُ هــذه الدبلة يوم أمس وألبستها لك رغم رفضكِ لها.. بهذا الشـــكل.. إنهـــا ستبقى شاهد على أجمل قصة حب.. ناهد.. عودي إلي بعد أن تشفى جراح لبنان.. إنني أنتظر عودتك وسوف أتتبع أخبـــار لبنـــان.. يـــا عروس قانا.. يا مليكتي.. يا حلوتي.. اذهبي.. وأدعو الله أن يحميكِ من احتراق لبنانك.. كم كنتُ أتمنى أن أكون إلى جانبكِ.. أطفئ معك نيران قانا كانت لحظات قاسية.. وشعور مـــــر.. حزمـــت حقائبهـــا وطارت على أول طائرة تقلع إلى بيروت، وفي لحظة الوداع.. كـــان مشهد مؤلم بكيا كثيراً.. وكانت حالة طارق مخيفة.. لذا لـــم يســـتطع العودة إلى بيته خوفاً من أمه وأسئلتها الكثيرة. توجه إلى عشٍ غرامه التي شهدت أروع آيات الحب وأجمل فصوله. وهناك. مرً بحالــــة لا توصف من العذاب النفسي وقف أمام الباب وكأنه ينتظـــر أن تفتحـــه ناهد.. وترتمي على صدره كما كانت تفعل دائماً. تذكر أنها سافرت.. وتركته وحيداً.. جريحاً.. جرحٌ هو أعمق من جرح مصابي لبنان مد يده وأخرج من جيبه المفتاح الذي سلمته إياه وهي تسقيه من دموعها حين أمسك يدها وهي قابضة على المفتاح ورفعها إلـــى فمـــه وراح يلثمها.. وهي تدنو وجهها منه وتضم يديه إلـــى صدرهـــا وتخفـــض رأسها وتقبل يديه وتغرقهما بالدموع.. وضع المفتاح بالقفل وحـــاول أن يديره.. ولكنه أبى أن يتحرك. كان يبكي ويصرخ من شدة الألم.. إنه يتوجع على فراق أميرته.. يتوجع على اليد الناعمة الرقيقة التـــي كانت تديره.. أين هي؟ إن هذه اليد ليست هي.. لقد تداعـــى لســـمع

طارق توجع المفتاح وأنينه المؤلم على رحيل أميرته واختفاء قمـــره الذي غاب بين سحاب دخان قنابل العدو. حرك المفتاح مرة أخرى.. عالج القفل.. توسلت دموعه.. لكن المفتاح ما زال يـأبى أن يفتـح.. وكأنه يقول.. لن أفتح هذه المملكة وملكتها غائبة. بكى طارق علــى جراحه وعلى جراح المفتاح.. لقد رثى لحالــه تلاقــت دموعهمـا.. وتوحدت الأحزان.. وأخيراً أشفق المفتاح لحــال طــارق.. كفكـف دموعه وبذل جهد كبير.. يدير المفتاح. وأخيراً دار داخل القفل وفتح الباب.. دفعه برفق وفي حركة بطيئة.. وكأنه ينتظر نـــاهد.. تأتيــه قافزة من كرسيها لتضمه إلى صدرها كالعادة وتقبله. طالت وقفته في الباب وهو موارب وتذكر أن ناهد ليست هنا وأنها لن تأتي ولن ترمي نفسها بين أحضانه.. فراح ينظر إلى كرسيها الــذي كــانت أميرتــه تجلس عليه منذ ساعتين.. الطاولة الآن فارغة ليس عليها أوراقهـا.. ولا علبة سجائرها ولا ولاعتها وقلمها. انطلقت مـــن صـــدره أنـــةٌ مميتةٌ.. آه يا ناهد.. يا حبيبة عمري.. آه يا نجمة لبنـــان.. وقنديـل قانا.. أين أنتِ الآن.. كان يقول هذا وهو يرمق الكرســي بنظـرات معاتبة.. ما فائدتكَ بعدها؟.. وكيف تركتَ ملكتك تنزل عنك؟.. كيف سمحتَ لها بالرحيل..؟ ومن خلال نظراته إلى الكرسي.. رأى نـــاهد جالسة أمامه.. معتلية عرشها.. تناديـــه نظراتهـــا العاشـــقة.. تشـع ابتسامتها الحلوة.. تهمس له: طارق.. اقترب مني أيها الحبيب. فرك عينيه.. ابتسمت ابتسامتها.. وتحولت إلى ضحكة دلع تأثر الروح فكم كانت تنعش روحه.. تقدم منها فاتحاً ذراعيه يريد ضمها.. فوجد يديه تقبض على موجة سحاب. أخفى وجهه بيديـــه وصـــرخ صرخـــة موجعة: .. ناهد.. وهرب إلى غرفة النوم فتراءت له نائمـــة فـــوق سريرها وشعرها الذهبي متناثر فوق الوسادة.. ووجه ملائكي تشـــع منه ابتسامة. تقدم منها.. جلس على حافة السرير.. مد يـــده يلامـس

شعرها كما كان يفعل.. فوجد يده تلامس الوسادة.. ضربهـــا.. وراح يعتصرها بيديه.

تركها ودخل المطبخ.. تصورها أمامه تعد الطعام وتضحك لـــه كما كانت تفعل.. وتداعى صوتها وهي تقول له: هيا.. تعالى.. لتُعـــد معي الطعام.. وتدير له ظهرها فتقدم كي يحتضنها كما كان يفعـــل فاختفت من أمامه كما يختفي الحلم الجميل من بين الأجفان. أمســـك رأسه وصاح: ناهد ناهد.. عودي إليّ.. إنني أموت بعدكِ.. لا تبتعدي عني. خرج من المطبخ ورمى نفسه فوق الكرسي يبكـــي وبصـــوت موجعٍ وينظر إلى جدران الشقة فيجدها تبكي معه فراق حبيبته وقمر لياليه المظلمة فكانت تتراءى له بكل زاوية من زوايا الشقة وضحكتها كانت تخترق سمعه وكان يخفي وجهه براحة يديه وتتوجع روحـــــه. خرج من الشقة لا يلوي على شيء. ركب سيارته وراح يجوب فيها شوارع الحي فبدت كأنها تقفز له من كل خطوة يخطوها. لقد جابا كل هذه الأماكن سيراً على الأقدام.. حيث كانا يركنا الســيارة ويســيران متعانقي الخصر فكل شيء في هذه الطرقات يذكره فيها.. وأمام كـــل محل توقفا وشربا المرطبات.

كل هذه الذكريات عادت إليه وهـــو يســوق ســيارته بطريقـــة جنونية.. وكاد أن يعمل حادث ودموعه تحجب الرؤيا أمامه ورسمها يتراقص بين ناظريه. وصل إلى البيت.. ودخـــل غرفتـــه وأغلقهـــا بالمفتاح كي لا تدخل أمه خلفه وألقى بنفسه فوق السرير ونام نومـــاً قلقاً متقطعاً.. تثقله الأحلام المزعجة. وعندما دخلت أمه في الصبـــاح كي توقظه رأت دموعه تغرق الوسادة. ذُعرت.. صاحت بخـــوف: طارق.. طارق ما بك يا حبيبي؟ هل أنت مريض؟ قـــال: لا.. إنـــي بخير. قالت بدفء وحنان وقد ذهب خوفها قليلاً: لماذا هذه الدمـــوع

إذاً..؟ رد عليها وهو يشيح بوجهه كي لا ترى حزنه: لقد رأيت حلماً مزعجاً قالت وهي تمسح رأسه بيديها: خيراً إن شاء الله. اجلس الآن وأغسل وجهك وتناول إفطارك قبل أن تذهب وتابعت قائلة: طارق.. هل لديك موعد اليوم؟ أجاب: لماذا؟ ردت: اليوم لدي أمسية شعرية وأريدك أن تحضرها لتسمع قصيدتي الأخيرة.

قال لها: إنني اليوم مشغول يا أماه.. سوف أقرؤها هنا. غسل وجهه وارتدى ملابسه وخرج دون إفطارٍ رغم إلحاح والدته. هناك.. في العمل التقى به سامح.. وقد ذعر من الهالة الحزينة والشحوب الذي يكلل وجهه. سأله سامح بقلق: طارق.. ما بك؟ يا صديقي.. هل أنت مريض؟ رد عليه بصوت تخنقه الغصة: لقد سافرت ناهد قال سامح: لقد علمت ذلك من منى حين كلمتني بالمساء هاتفياً وهي تبكي فراق صديقتها وتبكي من وحشية الاعتداء على لبنان واحتراق قانا. وقد حكت لي عن لحظة وداعكما. تساقطت دموع طارق رغم محاولته جاهداً الإمساك بها.. وعندما لم يستطع.. أشاح بوجهه كي لا يراها سامح تغطي وجهه وتنهمر من عينيه. ولكن سامح أحس بها قبل أن تسقط.. ربت على كتف صديقه وقال له: طارق.. تماسك يا أخي.. وكن قوياً.. إنها فترة وستعود بعدها.. أنا متأكد من ذلك. تنهد طارق بأسى وقال له: لقد أصبح بيننا بحور وبلاد.. إنها الآن في بلدها.. وهو مصاب يحترق.. فهل تتركه ينزف بجراحه و تعود؟ لا.. لا أظن ذلك يا سامح.. إنني لست متأكد من عودتها.. لكنني أتمنى لها السلامة والنجاح في كل خطوة تخطوها وأتمنى لبلدها لبنان الغالي الانتصار على هذا الوحش الإسرائيلي الذي فُطر على العدوان والإجرام ونزلت دمعة من عينه فراح سامح يخفف عنه. ومضت أيام وحال طارق تسوء أكثر يوماً بعد يوم وهو قابع أمام التلفاز يتابع الأخبار عن كثب.. يعيش مع لبنان ألمه ويعاني دمار قانا بينما إخوته

قلقون عليه.لا يدرون ماذا ألم به.. وهو في صمته القـــاتل ودموعـــه المحرقة التي يحاول إخفاؤها جاهداً لكنهم يرونها قبل سقوطها. رغم أن طارق كان لا يبوح بعذابه ولا يفتح قلبه إلا لصديقه سامح ومنـــى الذين عاشا معه مأساته بكل تفاصيلها وهما أيضاً يعانيان مشـــكلتهما مع أهل منى إذ أنه قد تقدم لخطبتها لكنه لم يلاقـــي ســـوى الرفـــض والانهزام بسبب ووجود ابن عمها حيث أن منى دخلت معركـــة مـــع أهلها وطالبت بحقها في تقرير مصيرها.

ووالدة طارق تعيش عذاب نفسي كبير بسبب عذاب طارق ابنها الذي لا تدري له سبب وأمام دموعها الغزيرة ومرضها عليه لم يجـــد مناص من البوح لها بكل ما يعانيه فقص لها قصته وروى لها كل ما كان بينه وبين ناهد وكيف تركته وسافرت ولم يعد يراها ولا حتـــــى يسمع عنها خبراً يطمئنه. بكت أمه عليه.. وعاتبته بشدة على إخفاءه لمثل هذا الأمر وهي التي تنتظر بفارغ الصبر هذه الســـاعة ومنـــذ سنين وحزنت كثيراً على ناهد وما أصاب بلدها وكم تمنت عودتهـــا لكي تراها وتمتع عينيها بمرآة حبيبة ابنها التي اختارها من بين كـــل البنات.. لابد أن تكون آية في الجمال.. وقمة في الأدب والأخـــلاق.. لأنها تعرف ذوق ابنها طارق.. إنها التي ربته.. ونّمت فيـــه مكـــارم الأخلاق وقد دعت لها بالحماية لتعود إلى حبيبها طـــارق.. ولتعـــود لطارق الحبيب ابتسامته التي أخذتها معها منذ رحيلها بينما كانت هذه الأحداث تدور في القاهرة.. كانت المعارك والويلات تدور في لبنان.. وناهد تحترق بلهيبها.. منذ أن وصلت إلى بيروت.. أرادت الوصول إلى قانا.. مسقط رأسها.. لكنها مُنعت من الدخول إليهـــــا.. بســـبب الأوضاع الأمنية فاتجهت إلى مشفى الصليب الأحمر بعد عجزها عن الوصول إلى مقر المنظمة.. كانت لبنان كلها شعلة نار.. وانضمـــت إلى فرقة الإنقاذ.. ومن بين الجرحى الذين كانت تســـعفهم وتضمـــد

جراحهم.. كان خطيبها أسعفته بلهفة وألــــم.. وبكــت لجراحـــه.. واهتمت به كثيراً.. ولكن الموت كان أقرب إليه وأسرع من إســـعافها له.. فأسلم الروح وهو ويحتضنها بين أجفانه.. ويضمهـــا بابتســـامته التي تقول لها: تابعي طريقك يا ناهد.. إن بلدك بحاجة إليك وأهله هم أهلك ويريدونك بجانبهن. صرخت ناهد صرخة مدوية وضمته إلـــى صدرها.. بكت بحرقة ولعنت هؤلاء المجرمون القتلة الذين يقطفـــون أرواح الشباب من أجسادهم بكل وحشية واستجارت بالعـــالم أجمـــع ليرى هذه الجرائم الفظيعة والويلات البشعة التي تقوم بها إســـرائيل. وأرسلت دموعها للعرب تقول لهم: افعلوا شـــيئاً.. أنســـوا كراســـيكم وتذكروا أن لبنان تحترق والأبرياء فيها يموتون بالمئات فـــي قنـــابل العدو.. أوقفوا هذه المهاذل التي تقوم بها إســـرائيل المجرمـــة. ولـــم تمضِ ساعات على فقدانها لخطيبها حتى جاءها خبر مـــــوت أهلهـــا جميعهم تحت الأنقاض وفي بيتهم. فكانت هذه الضربة القاضية لهـــا. أطلقت صرخاتها وأنينها الموجع.. تخبطت في بحور اليأس ووقعـــت صريعة الإغماء والانهيار النفسي والعصبي.. فدخلت العناية المشددة للعلاج. مضى عليها أكثر من أسبوع وهي في حالة الخطر.. وأخيراً تماثلت للشفاء وكانت قد توقفت الحرب اللعينة وتركت مخلفاتها من تهدم ودمار ومئات الضحايا. لملمت جراح قلبها وآلام نفسها وذهبت إلى قانا التي أصبحت مجرد أنقاض.. توجهت إلى الشارع الذي كانت تقطن فيه.. بحثت بين البيوت عـــن بيتهـــا.. كـــانت البيـــوت كلهـــا متشابهة.. لم تستطع أن تتعرف على بيتها إلا حيـــن رأت وســـادتها المطرزة وشرشف السرير. ولوحاتها المهشمة التي تناثرت بين أكوام التراب.. انحنت والتقطت بعض أشياءها وبعضاً من ملابسها وبقايـــا من لوحاتها.. غطاء صلاة أمها.. نظارة والدها الطبية التي كان يقرأ فيها أخبار المقاومة.. وهناك مقلاع أخوها.. التقطتهـــم.. وضعتهـــم

أمامها وجلست فوق حجر كبيرة ودخلت في مونولوج داخلي مؤلم ثم حملتهم جميعاً وعادت بهم إلى بيروت.. حيث اتجهت إلى المنظمة.. أعطوها ما يكفي من مال.. باعتبارها من أسر المنكوبين حيث لم يبقَ لها أحد. اشترت أدوات رسم وذهبت مع أشياءها إلى حديقة قريبـــة.. وضعت الأشياء أمامها.. وبدأت ترسم.. العالم الأوربي اللامبـــالي.. والأمة العربية التي اكتفت بالشجب والتنديد بما حصل.. و رسمت ما أصاب لبنان.. واحتراق قانا.. والمقاومة بكـــل فئاتهـــا.. والضحايـــا المضرجين بدماءهم. رسمت كل ذلك بألم وحزن فأبدعت التصوير.. كادت ترسم كل ما حدث فكان يتخيل لـــلرائي أن اللوحـــات تنبـــض بالحياة حتى لتكاد تنطق بكل ما دار على هذه الأرض الطيبــــة مـــن مآسي وأحزان. بينما هي على هذه الحالة.. كان طارق قد فكر في أن يقدم شيء وطني يخدم به ناهد والمقاومة اللبنانية.. فأعلن عـــن بيـــع لوحاتها.. بدعوة وطنية لها وللمقاومة وقام بجمـــــع التبرعـــات مـــن الفنانين والمثقفين وسلمها إلى منظمة الصليب الأحمر باسم ناهد. ناهد الآن تأخذ مكاناً منزوياً في الحديقة وهي ترسم لا تدري بشيء وأثناء عملها.. رأت فتاة وشاب يمرون أمامها.. يسيرون إلى جانب بعضهم. أيديهم تتشابك مع بعضها.. يدل وضعهما على أنهما عشاق.. توقفت يدها عن الرسم.. وراحت تحدق بهما دون شعور.. تحسست الدبلة.. وسرحت بخيالها بعيداً.. تذكرت طارق وراحـــــت تناجيــه بـــأعذب الكلمات.. وتطلق التنهدات العميقة. وفي هذه التي حملت بين طياتهـــا الحنين إلى الماضي.. قفزت إلى بالهـــا فكـــرة.. قـــررت الاتصـــال بطارق.. كم اشتاقت إليه.. إلى سماع صوته.. إلـــى همـــس كلماتـــه العذبة. حملت لوحاتها وعادت إلى مكان إقامتهـــــا.. وقـــامت فـــوراً بالاتصال بطارق. رن جرس الهاتف عند طارق.. رفع السماعة وإذ بصوتٍ هو أرق من النسيم.. هو أحلى من الحلاوة نفسها يأتيه فـــــلا

يصدق نفسه يكذب أذنيه.. يصيح: من؟. ناهد..؟ صحيح ما أسمع أم أنه يتهيأ لي؟

تجيب بكل رقة: نعم يا طارق.. ناهد. ينساب صوتها إليه كالنسمة الناعمة فتنعش روحه قفز من مكانه قال بفرح: ناهد.. كيف حالك يا حبيبتي.. حمداً لله على سلامتك. أجهشت بالبكاء.. وهي تقول: لقد مات أهلي جميعهم يا طارق.. قُتلوا.. لقد اقتلعوا جذوري ولم يتركوا لي غصن واحد استند عليه.. لم يبقَ لي أحد يا طارق. رد عليها بصوت مبحوح: ناهد.. لا تقولي هذا.. لبنان كلها أهلك.. ونحن هنا أيضاً أهلك تعالي يا حبيبة القلب.. تعالي إلي.. إنني بانتظارك.. وأيامي تعيسة جداً بدونك ولحظاتي حالكة السواد من غيرك.. أعيش غريباً في وطني وبين أهلي. حتى أمي يا ناهد تحترق شوقاً إليك.. وخوفاً عليك.. وهي تتوجع لوجعك ووجع لبنان كله. ناهد.. لا أريدك أن تشعري أنك وحيدة وأنا على قيد الحياة.. إن لبنان الذين بتَ مع أرزه هو أهلك.. ومصر التي زرعتِ فيها شجرة الحب هي وطنك.. ناهد.. تعالي فوراً.. لا تترددي قالت بصوت كله أسى ومرارة: سآتي يا طارق لأنه لم يبقَ لي في هذه الدنيا سواك يا عمري حتى من كان خطيبي قد استشهد. انتهت المكالمة بينهما وفي نفس اليوم استدعوها لتتسلم المبلغ الذي أرسله طارق باسمها. قبضته.. وقامت بتوزيعه على المنكوبين الذين دُمرت بيوتهم واستشهد أفراد من أسرهم. وعادت للرسم.. لتكمل لوحاتها وتنقل معها صورة حية مما دار من المعارك في احتراق قانا وحملت لوحاتها وطارت إلى القاهرة حاملة جراح بلدها ودماء شهداء المقاومة لتعرض للعالم بربرية العدو ووحشيته. استقبلها طارق في المطارق.. حاملاً معه علبة فيها ثوب زفافها.. حملها بسيارته وطار فيها إلى شقة حبهما. سلمها مفتاح الشقة وقال لها: افتحي الباب.. باب مملكتك

بيدك فسوف يرقص لكِ. مدت يدها وفتحت الباب.. دلفت إلى الداخل.. فوجئت بالتحول الذي طرأ عليها لقد حولها طارق إلى مرسم وضع فيه كل معدات الرسم.

أدهشها هذا الترتيب.. لقد نظمها وكأنه رسام منذ سنين.. استدارت وارتمت على صدره تضمه وتبكي.. وراح يهدأ من روعها وانفعالاتها الحسية والروحية.. وبعد أن هدأت قال لها: ناهد.. سوف أعرفك على أمي.. فهي تتحرق شوقاً لمرآك.. ردت: أجل.. وأنا بشوق كبير لأراها.. وأبكي كثيراً على صدرها.. وأنام بين أحضانها الحنونة.. إنك لا تدري يا طارق كم أنا بحاجة لأحضان أمٍ.. وأمك سوف تكون أمي. قال: حسناً.. اليوم عندها أمسية شعرية.. فلنذهب إليها.. وهناك تلتقيان.. سوف تكون فرحتها مزدوجة.. فرحة للقاءك.. وفرحة أخرى لأنك تحضرين أمسيتها الشعرية وتستمعين إلى شعرها. قالت: حسناً.. أجلس لأحدثك عن أيام عذابي والنكبات التي حلت بي تجهم وجه طارق وهو يسمع صوت ناهد المحشرج.. الذي يغذيه الحزن.. فجلس.. وجلست بجانبه.. وراحت تحكي له مرارة أيامها فقالت له: طارق.. إن ما أصاب لبنان شيء فظيع ويندى له الجبين بالعار لموقف الدول العربية والأوربية المتخاذل.. يقفون موقف المتفرج وهم يرون إسرائيل تدوس القرارات الصادرة عن هيئة الأمم المتحدة التي تنص على انسحاب إسرائيل من لبنان وتوقف اعتداءها عليها) تحت أقدامها وتجاوزت كل الحدود.. وضرب السكان المدنيين في قانا.. كل يوم لها هجوم واعتداء على لبنان.. والعالم يتفرج.. ولم نجد مساعدة أو موقف عربي يستحق التحية والإجلال سوى موقف سورية البطولي والنضالي ضد السفاحين الصهاينة بما قدمت من تضحيات ودماء.. فالجيش السوري الوحيد الذي خاض الحرب جنباً إلى جنب.. مع الجيش اللبناني.. وقد سقط

مئات القتلى والجرحى.. عطروا بدمائهم أرض لبنان الغالي.. إنهم الوحيدين الذين يتصدون للعدو بأموالهم وعتادهم وأنفسهم من أجل إخوانهم في لبنان.. وهذا ما يجعلني وكل لبناني.. نُجل لهم كل تقدير وحب.. أتدري.. لقد التقيت في المشفى عدة جنود جرحى ومنهم بعض الشباب الذين تربطني بهم معرفة وصداقة. كانت ناهد تحكي لطارق عن جنود سورية ومواقفها المشرفة باندفاع وحماس.. مما جعل طارق يستشف من خلالها مدى ما تحمله من عمق المشاعر والمحبة إلى شعب سورية الذي كان وما زال له اليد البيضاء في حماية لبنان وإنقاذها من وحشية وإجرام الشعب الإسرائيلي الذي فُطر على الغزو والاستعمار والاعتداء على حقوق الغير. قال طارق لها فرحاً بما سمعه عن موقف سورية كدولة عربية تقف إلى جانب دولة شقيقة: إنني دائماً أسمع عن وجود سورية في لبنان لحمايتها.. ولكن لم أتوقع أن يكون دوراً فعالاً لهذه الدرجة. إنهم فعلاً يستحقون ما تحملينه لهم من إجلال وتعظيم.. تابع قائلاً: ناهد.. أرجو أن تحاولي الابتعاد بمخيلتك عما حدث حاولي النسيان.. كي تقصي عن نفسك هذا الحزن والعذاب.. ترقرقت الدموع في عيونها وقالت له: من الصعب.. إذا لم يكن من المستحيل.. النسيان ولكني سوف أحاول أن أنظر إلى الأمام وأكون صلبة قوية أمام ما سوف يحدث. ضمها إلى صدره.. وراح يمسح دموعها بأطراف أصابعه. في المساء.. أعدت نفسها لهذا اللقاء.. وضعت مكياجها.. وارتدت ثيابها.. فبدت بأروع جمالها وسحرها.. ركبت بجانبه.. وانطلق بها وقلبه يرقص وروحه تحلق وكان بين لحظة وأخرى يحتضنها.. يستنشق رائحة عطرها.. ويملأ عيونه من سحر جمالها.. دخلا النادي الثقافي تأبط ذراعها ودخل بها.. فبدت وكأنها أميرة تدق الأرض بخطواتها. وقفا بباب النادي.. راح يجوب بنظره هنا وهناك بحثاً عن أمه.. وقعت نظراته

عليها.. تقدم بناهد وهو ينظر إلى أمه بتباهي وزهو كأنه يقول لها: انظري إلى هذه الفاتنة إلى جانب وحيدك.. انظري.. كم هو ذواق وبارع بالاختيار لحظات.. ورفعت الأم رأسها إلى فوق ونظرت إلى الأمام وإذ بها ترى طارق تتأبط ذراعه فتاة.. تسر العين.. وتأثر القلب.. نهضت وأقبلت عليهم وقد شعرت بإحساس الأم بأنها ناهد.. ففتحت لها ذراعيها وأخذتها بأحضانها وراحت تقبلها بحنان الأم.. ضمتها إلى صدرها طويلاً.. وانخرطتا في البكاء.. وكانت أم طارق تقول لها: ناهد.. إنك من هذه اللحظة ابنتي.. وأنا أمك. تدخل طارق حين قال لها: ما رأيك يا أمي بناهد.؟ ألا تستحق حبي.. وحزني على غيابها..؟؟ هزت الأم رأسها والبسمة تغرد على وجهها.. لفت خصرها بيدها وقالت له: لماذا لم تخبرني بقدومها كي استقبلها في المطار؟ قال لها والسعادة تسكن روحه: لقد أردت أن أجعلها مفاجأة لك.. ضحكت وقالت له: إنها أجمل مفاجأة والتفتت إلى ناهد وقالت: ناهد.. سوف أقيم لك فرحاً تشهد له القاهرة.. ويكون حديثاً لفترة طويلة. احتقن وجه ناهد خجلاً.. وأخضب بالاحمرار وارتمت على صدرها تقبلها وتعانقها وهي تقول: شكراً لك يا أماه.. أدعو الله أن يمد لنا بعمرك.

الوقوع في الفخ

بين طيات الأفكار تسكن الأحلام وعلى صفحات الأحلام تنطلق أماني النفوس وتفتح نوافذها للإطلال على جنة الحياة.. ويعدو المرء خلف حقول وبساتين تتراءى له بأشجار مثمرة.. ويعد نفسه لقطف ثمارها.. ولكنه سرعان ما يكتشف بأن هذه البساتين والحقول مليئة بالزواحف والأفاعي... وأشجارها تنخر جذوعها السوس وليس فيها سوى القشر الخارجي.. وقلبها كله متآكل.. وهذا ينطبق على جميع المجتمعات.. وخاصة منها الفقيرة.. حين يبهرها بريق متلألأ من بعيد فيخطف أبصارها ويجعلها في حالة تسابقٍ. وعبد العال.. الرجل الريفي الذي أكل ربيع شبابه عمل الحقول.. وتربية المواشي.. وأرهقته طلبات الأولاد التي عجز عن توفيرها لهم.. فلم يجد منفذ إلى مضاعفة دخله رغم كل ما يبذله من جهد وعناء. وكان حلمه الكبير.. أن يجدد بناء داره المتهدمة.. والتي تكاد تسقط على رؤوس عائلته.. لذا.. أول ما لمح شعاع بريقٍ من بعيد.. أسرع إليه دون أن يفكر.. ما قد يكون خلف هذا البريق.. هل هو من نور.. أم من نار..؟؟ استسلم له.. وعقد معه أول صفقة.. كانت تلك الصفقة.. رأسمالها.. ابنته إيمان..!! الفتاة الطيبة التي تربت على حب أبويها وإخوتها.. وتعايشت مع حلم والدها.. وأصبح حلمها الوحيد سعادة إخوتها.. وأبويها اللذان هما شاغلها الوحيد لا تهمها نفسها.. بقدر ما يهمها تحقيق حلم العائلة وراحتهم.. لقد تعودت على العطاء منذ صغرها.. حيث خرجت إلى ميدان العمل وهي في سن مبكرة.. وكانت كل ما تكسبه من عملها.. تقدمه لعائلتها.. لذا.. عندما رأت بريق النور آتٍ

من السعودية.. أسرعت إليه كالفراشة عندما تقترب من النار فتحرقها ومع ذلك تظل ملتصقة بها.

وإيمان.. الفتاة المعطاءة.. التصقت ببريق كـــالنور.. وصممــت على إتمام هذه الصفقة لاعتقادها بأن الزواج من رجل سعودي سوف ينقذها وعائلتها من حالة الفقر المدقع التي يعيشونها.. وأنهـــا ســوف تذهب إلى بلد يتدفق فيه المال.. وتزدهر فيه الحضارة.. ويحتضـــن الإنسانية.. ويضحك لانطلاقة الشباب.. لذا قدمت حبها وعواطفهـــا.. قرباناً لهذا الزواج.. وحملت جراح قلبها.. وكتمـــت أنيـــن روحهـــا وسارت خلف وهم.. شعاعٌ انبعث من بعيد.. وظلت تسير خلفه وهو يعدو أمامها.. وتحاول الإمساك به.. وهو يهربُ منها بعيداً.

دخلت أرض السعودية.. واجتازت مســافات شاســعة.. وأرض قاحلة وكلما تسأل نفسها: متى تصل إلى ذلك النور البراق؟.. لا تسمع سوى صدى صوتها.. وحفيف أنفاسها اللاهثة.. خلف سراب ليـــس له نهاية.. وابتدأ حلمها يزحف نحو الموت.. وآمالها تقـــترب مــن النهاية.. حيث توقفت في صحراء قاحلة لا ماء فيها ولا زرع ينبــت في أرضها.. ولا يوجد سوى ثلاثة خيام متفرقات لاحت من بعيـــد.. قليلاً.. أوقف سيارته وقال لها: هيا أنزلي لتنيري دارك..!! ضـــاع فكرها.. وغطت عيونها شيء من الغشاوة.. وأصابهـــا دوران فـــي رأسها.. وهمست بصوت تخنقه العبارة: أنزل..!! لماذا؟؟ وإلى أين؟. إنني لا أرى هنا مدينة.. ولا بناء..!! قال لها: هذه الخيام هي بيوتنـــا ومدينتنا.. وتلك الخيمة هي البيت الـــذي ستعيشـــين فيـــه. صـــاحت مفجوعة: أي بيت هذا الذيِ تتحدث عنه..؟ إنها صحراء.. صحـــراء قاحلة.. وهذه خيام لبدو رحّل.

تلفتت حولها.. وتاهت نظراتها في مدى الصحـــراء.. وزفـــرت

زفرة طويلة محرقة.. وترجلت من السيارة.. وراحت تطلق نظراتها في كل الاتجاهات.. فلاح لها من بعيد قطيع من الجمـــال.. وقطيـــع آخر.. صغير.. من الغنم.. يسرحون في تلك الصحراء وكان زوجها منهمك في تنزيل أشياءها من السيارة.. وعندما انتهى.. قـــال لهـــا: هيا.. اتبعيني.. وسار وسارت خلفه مسلوبة الإرادة.. مستسلمة إلـــى قدّرها المحتّم.. الذي حمل ربيع زهورها.. ليدفنهـــا فـــي صحـــراء ملتهبة.. كالجمر الذي يحرق قلبها وفؤادها في هذه اللحظـــة وكأنمـــا وصلت إلى الدنيا الآخرة و.. وأن الله يعاقبها على أحلامها وآمالها.. فأدخلها إلى نار جهنم لتحترق.. وكل ذنبها أنها أرادت أن تحمل أهلها من وادي الفقر.. إلى جنة المال ولو على حســـاب نفســـها.. دخلـــت الخيمة.. ووجدت في استقبالها.. أمه وشقيقتيه.. وأخوه الكبير. وقفت أمامهم مأخوذة.. مشتتة.. لا تدري ماذا تفعل.. أو كيف تتصـــرف.. وماذا تقول.. إن كل ما تراه أمامها.. غريب وغير مـــألوف بالنســـبة لها.. وحملها خيالها المضطرب.. إلى مصر الغالية.. وحبيبها الـــذي باعت حبه من أجل أهلها.. وداست على أحلامها الوردية.. وأعدمت قلبها على رمال هذه الصحراء اليابسة مرت الأيام سوداء مظلمـــة.. وخالية من الدفء.. كخلو رمالها من الأشجار.

لقد ذاقت الحرمان.. وزجت تحت وطئة الظلم من الجميع. حتى الخبز.. لم تكن تحصل عليه

ضاقت بها الحياة.. وأظلمت الدنيا في وجهها.. ولم تدري مـــاذا تفعل؟.. وليس لها في هذا البلد أحد.. حتى الاتصال مع الأهل.. لـــم تتمكن منه.. فإلى من تشتكي..؟ ومن يسمع شكوتها فما كان أمامهـــا سوى الخادمة التي هي أيضاً قد ضاقت ذرعاً بحياتها مع وحشية هذه الأسرة إنهم يضربونها.. ويأكلون حقها من الرواتب.. وراحت تشتكي

إلى تلك الغريبة التي قذفتها مياه النيل إلى صحراء السعودية.. ليجف عودها.. كما جف الزرع بين رمالها.

وأصبحت الاثنتان تعزفان على نفس الوتر لحن الشكوى والإحساس العارم بالظلم ووصلت الشكوى إلى درجة الثورة والاحتجاج على هذه الحياة.. فقررتا الهروب واتفقتا على ذلك.. وفي إحدى الأيام.. وفي العاشرة ليلاً.. حملتا بعضاً من الثياب في صرة صغيرة.. وانطلقتا في الصحراء.. لا تلويان على شيء.. وبسرعة البرق جريتا ساعات وهما تائهتان لا تدريان إلى أين تتجهان.. ولا إلى أين سينتهي بهما المسير. وبعد سير طويل.. لاح لهما نور سيارة آتية من بعيد.. اتجهتا نحو النور وبدأ النور يقترب منهما.. إلى أن وصلتا إليه.. وكان النور لسيارة صغيرة وبدا داخلها ثلاثة شبان.. وكانوا يسيرون عندما بدا لهم من بعيد أشباح فاتجهوا نحوهم ولما وصلوا إليهم توقفت السيارة.. وترجل منها واحد وتقدم من الامرأتين وراح يسألهما.. من أين جئتما..؟ وإلى أين أنتما ذاهبتان؟؟.

أخبرته إيمان عما حصل وهي في حالة رعب وخوف عن قصتها وكيف هربت؟ وأنها لا تدري إلى أين ستحملها قدماها.. وراحت تتوسل إليه كي يرشدها إلى طريق الرياض فقال لها الشاب: إن هذا الاتجاه الذين تسيران به خطأ.. وهو معاكس تماماً لاتجاه الرياض وهذا طريق نائي.. لا تسير فيه سيارات. ونصحها بأن تعود من حيث أتت.

ولكن إيمان راحت تبكي وهي تقول له: إن العودة مستحيلة وأنها يجب أن تذهب إلى السفارة المصرية كي تتولى تسفيرها إلى بلدها.. وطلبت منه أن يسدي لها جميلاً ويوصلها إلى السفارة.. وبعد جدال.. قال لها: هيا اصعدي مع شغالتك.. سوف أوصلك إلى الرياض وهناك

يتولانا الله فيما نفعله. وانطلق بهما باتجاه الرياض وهما صـــامتتين طوال الوقت.. حيث كانت كلاً منهما تفكر.. في اتجاه سوف تســلكه وكانت حالة إيمان فيها الكثير من الاضطراب والقلق والخوف. وبعد مسيرة ساعة كاملة.. وصلوا إلى الرياض. نزل الشابان وبقي الشاب الذي يقود السيارة والذي تكفل بتوصيلهما وحده معهما وراح يعرض عليهم اقتراحات غير جادة فأحستا بأنه شاب كاذب ولعوب.. إذ أنـــه راح يقنع إيمان بأن تذهب معه إلى بيته وهو سوف يحــل لهــا كــل مشاكلها.. غير أن إيمان.. رغم بساطتها وعدم خبرتها فـــي الحيــاة والناس.. عرفت نواياه.. وأن عروضه هذه ما هي إلا لغاية في نفسه راحت ترفض بشدة وتقول له: إذا كنت تريد مساعدتي حقاً وتعمل بي جميلاً.. خذني إلى السفارة. قال لها بشيء من الدهاء: لو أخذتك إلى هناك سوف يقبضون علي ويلبسونني تهمة. بكت إيمان وقالت وهـــي ترتجف من الخوف والهلع: ما العمل الآن وإلى أين أذهـــب..؟ رد باستهزاء: قدمت لك الحل فرفضتِ. أجابته والذعر يملأ عيونها: لا.. لن أذهب معك.. وسوف أنزل هنا.. على قارعة الطريق وســآخذ أي سيارة تحملني إلى السفارة. قال لها: إنك بهذا تلحقي بنفسك الضـــرر فردت: ولكن ماذا أفعل؟ صمت قليلاً ثم قال لها بابتسامة شيطانية: لقد وجدت لك الحل المناسب..! سألته متلهفة: وما هوا لحل؟

قال لها: أبقي أنتِ هنا.. وسأذهب أنا وأخبر الشرطة وهي تأتي وتأخذك إلى السفارة. صدقت إيمان أكاذيبه وهمست بيأس واستسلام: حسناً سوف أفعل. وكان تفكيره قد ذهب به إلى شيء آخر.. أوســـع نفعاً له.. لقد فكر بالتعاون مع الهيئة فهذا ينفعـــه كثـــيراً.. حــاضراً ومستقبلاً.. لقد لمعت في رأسه تلك الفكرة منذ اللحظة الأولى التـــي رفضت الذهاب بها معه إلى بيته.. فهو الآن يأخذ مبلغ كبـــير مــن الهيئة لتسليمه هاتين الضحيتين.. ثم يعقد معهم اتفاق بأن يضع نفســه

تحت خدمة الهيئة ويصبح مرشداً لهم.. وقد نفذ الخطة كما رسمها لنفسه. وهو معجب بهذه الخطة الجهنمية التي قفزت إلى خياله. وأما إيمان فقد كانت نزلت مع شغالتها وجلستا على الرصيف تنتظران رجال الشرطة وتمنيان نفسيهما بالخلاص القريب. نصف ساعة.. وإذ برجال الهيئة تحيط بهما وتنتشر حولهما.. وهما اللتان لا تعرفان أن هناك رجال هيئة أو ما هي هذه الهيئة.. فقبضوا عليهما وساقوهما إلى المركز.. وهناك أُجري تحقيق معهما. ثم تم تسليمهما إلى سجن النساء. تلك الأحداث دارت مع إيمان بسرعة مذهلة فلم تعي ماذا حصل لها؟ ولا إلى أي جحيم يسوقها قدرها وكل ما كانت تفكر به.. هو أن تهرب من هذه الصحراء القاحلة المحرقة.. لترى شمس بلادها.. وتتمتع بدفئها ونورها ولكن هيهات.. فقد دخلت سجن النساء.. وهي في حالة ذهول وقلق والسؤال الذي لم يبرح خيالها لحظة واحدة رغم ارتباكها وعدم وعيها للأشياء هو: هل سوف يعيدونها إلى زوجها أم ستسافر إلى بلدها.

جلست بين مجموعة كبيرة من السجينات اللواتي كان معظمهم عربيات.. يبدو واضحاً ذلك من لهجاتهن المختلفة وقد التف حولها بعضهن.. يسألنها عن قضيتها؟ وما هو الجرم الذي ارتكبته؟ وكيف وصلت إلى هنا؟ وكانت هي لا تدري ماذا تقول وهي ترمقهن بنظرة تسكنها المرارة والألم. وبعد يومين.. أُعيد التحقيق معها داخل السجن.. فسردت للمحقق كل ما قد قامت بفعله.. فأين الجريمة في امرأة تريد أن تترك زوجاً قاسياً وظالماً لا يعاشرها بمعروف ولا يرضى أن يسرحها بإحسان كما أمره الله سبحانه وتعالى. وطلبت من المحقق أن يأخذها إلى السفارة لتعود إلى أهلها وإلى بلدها واستحلفته بالله العلي العظيم.. وبأمه وأخته.. وهي ببساطتها وعفويتها تظن أن هذه الأمور سهلة.. وأن ما تطلبه سوف يحقق لها.. وأن هذا هو

وحقها الطبيعي.. ولكن أين هي كي تطلب مثل هذا الطلب..؟؟ إنهـــا في السعودية التي لا تتعامل مع الناس إلا من خلال السجون وخاصة النساء منهن.. فلا تستطيع امرأة أن تقوم بأي شيء.. أو أن تقول أي شيء.. إلا وسيقت إلى السجن حتى وإن ضربها زوجها.. وراحــت تشتكي.. ليأخذوا حقها.. فإذا بهم يأخذوا حريتها ويرمونها في غياهب السجون.. أما هو فيظل طليقاً.. يتمتع بحريتـــه.. وبعواقــب ظلمــه لزوجته.. والأفظع من هذا كله.. يعلق مصيرها بيد زوج هو الظلـــم بعينه.. فلا يزيده هذا إلا تيهاً وغروراً وظلماً لتلك الزوجة التـــي لـــم تستطع أن تسكت على الضيم وذهبت إلـــى قـــوة الشـــرع والقـــانون تستغيث بهما فتفاجأ.. بأنها قد استعانت على الرمضان بالنار وتظـــل مرمية في السجن إلى أن يرضى هو ويخرجها.. وإذا امتنع.. تموت في سجنها وقد رأت إيمان كل هذا بأم عينهـــا.. فـــي هـــذه الفـــترة المأساوية من حياتها وبدأ الرعب والخوف يأكلان قلبها.. وضـــاقت نفسها.. ورشفت من مرارة أيامها السوداء أكثر من مـــرارة العـــذاب الذي لاقته في الصحراء.. جلست شهور وهي تنتظر قدرها.. وما قد يحل بها في الأيام العصيبة القادمة.. وإذا بزوجها يدعي عليها بأنهـــا قد سرقت منه مبلغاً من المال.. وهربت.

وأرسل لها ورقة طلاقها.. وأخلا مسؤوليته عنها.. وكأنها كانت عبئاً عليه فتخلص منه.. أو كأنها عباءة خلعها ورماهـــا بيـــن أقـــدام جمالها.

وبدأت مأساتها تكبر مع مرور الأيام.. وشموع الأمل التي كانت تملأ حياتها انطفأت واحدة تلو الأخرى.. حتى عمّ الظـــلام الدامـــس حياتها وهي قابعة هناك.. في سجنها المقيت المظلم والذي لا تدري له نهاية.

رغبات

في ملفات الحياة.. تنطوي حكايات الشعوب.. وتصرخ أوجاع المجتمعات.. وتدفن أحلام وآمال الأفراد في مقابر الظلم.

وريم واحدة من اللواتي تراكمت فوق شبابها وفرحة أحلامها.. تراب هذه المقابر بعد أن كانت تغرد البلابل في ربيع أيامها.. وترقص الدنيا على أغصان شبابها وفي موجة الحياة.. بكت أمانيها.. وتوجعت أيامها.. وسارت خلف خطاها التي ساقتها إلى قاع السحيق.. صحت يوماً لترى طفولتها قد توارت خلف بوادر صباها وهو ينضج كالفاكهة على أغصان الأشجار.. وكانت علائم أنوثتها تتكور على مساحة صدرها كأرنب مذعور.. والصبا ينفجر على تناسق قامتها.. وراحت العيون تصطاد أنوثتها والشهوات تسيل من اللعاب. وتلاعبت الأفكار في الرؤوس لاصطيادها.

أطلق لها نظرة طويلة.. وقال لها: ريم.. هيأي نفسك كي تذهبي معي إلى المزرعة لأن هناك عمل يجب أن تقومي به. طافت على وجهها مسحة من الاستغراب وقالت له متسائلة: وأخواتي.. ألن يذهبن معي..؟ أجابها بسرعة: لا.. لا.. لقد وضعت لكم نظام.. كل واحدة تذهب مرة..! وانطلقت من عيونها الدهشة وأجابته: لماذا..؟.. لقد كنا نذهب كلنا معاً.. فما سبب هذا التغيير؟.. قال لها بلهجة حازمة لا تدع مجالاً للاعتراض أو التراجع: نفذي ما قلته لكِ ولا تتدخلي في أمور لا تعنيكِ. رمقته بنظرة تحمل الحيرة في طياتها ونهضت تُعد نفسها كي تذهب معه وفي نفسها يدور ألف سؤال وسؤال.

ركبت ريم السيارة معه وانطلق بها إلـــى المزرعـــة.. وعندمـــا وصلا إليها. دخلت قبله وراحـــت تخلـــع عباءتهـــا وبـــدأت تفتــش بنظراتها.. الصالة.. وكأنها تبحث عن شـــيء مجهـــول.. دقـــائق.. ودخل خلفها يغلق الباب.. ثم قال لها: هيا يا ريـــم ادخلـــي المطبـــخ وأعدي لنا كوباً من الشاي قبل أن تقومي بأي عمل آخر.

سارت إلى المطبخ تجر قدميها ببطء.. دون أن تنبس ببنت شفة.. أعدت كوب الشاي.. وجاءت به.. وقدمته له.. ثم جلست بعيداً عنـــه قليلاً وكل منهما يسرح مع أفكاره بشيء يخصه.. كان يفكـــر كيـــف يغزو أنوثتها.. وهي كانت تفكر في حلم شبابها.. وصرخة مراهقتها. قطع الصمت الثقيل.. ودخل معها في حوار وأسئلة مبهمة لا تفهم منه شيئاً سوى أنه يريد الكلام.

اقترب منها بحجة أن تملأ له كوب الشاي.. بدا.. وهو يكلمها.. يتعمد لمس ذراعها وصدرها بشكل غريب.. مما جعل ريـــم تشـــعر بالخوف والقلق.. واعتلت وجهها ابتسامة باهتة لا لون لها وقالت له: ماذا تريد..؟.. هل يوجد شيء غريب فيٍ انكمش على نفسه وقـــال: لا.. لا إنني أمازحك.. ألستِ ابنتي؟.. همست وهي شـــاردة الفكـــر: أجل.. وصمتت لحظات.. وعاد إلى حركاته الغريبـــة فســـألته مـــرة أخرى: ماذا هناك..؟؟. قال بشيء من الارتباك: إنني أطمئن عليـــك فقط.. ردت باستغراب: تطمئن على ماذا؟.. تلعثم قليلاً وقـــال: لقـــد ظننتُ أنه يوجد شيء ما في صدرك. أطرقت برأسها أرضـــاً ولـــم تجب.. كي لا تتوسع معه في الحديث.. وبدأت أشياء كثيرة تدور في رأسها.. وتشابكت الأمور في داخلها وهـــي تســـأل نفســـها: مـــاذا أصابه..؟ وماذا تعني هذه التصرفات الغريبة؟

قطع حبل صمتها.. حيث قال لها: ريم.. بماذا تفكرين..؟.. لماذا

أثقلت الصمت.؟ رفعت رأسها وراحت ترمقه بنظرات فيها استنكار وقلق وقالت له: لا.. لا لا أفكر بشيء.. فأنا يجب أن أقوم بعملي كي أنتهي بسرعة ونعود إلى المنزل وحاولت النهوض.. وإذا به يستوقفها بضغطةٍ من يده على كتفها.. نظرت إلى يده بذعر.. وقالت له بصوتٍ يرتجف: ماذا تريد..؟ هل تحتاج لشيءٍ ما..؟.. ظلت نظراته الشهوانية معلقة في أنوثتها.. وراحت أنفاسه تتلاحق.. وكأنه في معركة ضارية مع نفسه.. ارتدت إلى الوراء بحركة سريعة فيها كثير من الخوف وراحت تحدق به.. ولا تدري ماذا تفعل تجاه هذا الموقف الغريب.. وقد تلاحقت في رأسها صور كثيرة.. كانت تراها فيه.. ولكنها كانت تكذب نفسها وتقول: إنه والدي!! ومن غير المعقول أن يصدر عنه شيء سيء تجاه ابنته.. ولكن الآن لم يعد هناك مجال للشك في سوء نفسه.. ونيته تجاهها.. ولكن كيف..؟ ولماذا..؟.. إنني أكاد أفقد عقلي.. لحظاتٍ.. وأطلقت صرخة دون وعيٍ.. ماذا تريد مني؟؟.. ارتد إلى الوراء.. وقال لها: لا شيء.. لقد خيل إلي أنك تخبئين شيئاً في صدرك.. علت وجهها ابتسامة صفراء.. وقد خفت حدتها قليلاً.. وقالت له: لا يوجد شيء.. ثم ماذا يمكن أن يكون الشيء الذي أخفيه؟؟ وتركته.. وخرجت من المكان بطريقة عصبية وانفعال.. ولدى عودتها إلى المنزل انزوت في غرفتها.. خلافاً لعادتها.. وراحت تفكر في ذلك الموقف.. وتحلل تصرفات والدها الغير طبيعية.. إن ما حدث له.. لغزٌ.. لا تدري خفاياه.. وبدأت تتغير طريقة حياتها في البيت مع والدها وإخوتها.. لقد أصبحت كثيرة الانطواء.. بعيدة عن أحداث العائلة.. وتتجنب والدها بقدر المستطاع. مضت الأيام على هذا المنوال.. إلى أن تزوجت.. وخرجت من بيت والدها.. ولكن.. هناك شيء يعذبها ويكاد يشل تفكيرها.. لماذا تصرف معها والدها ذلك.. دوناً عن أخواتها..؟ وكان

هذا السؤال يمزق رأسها.. ولم تكن تجد له جواباً. كانت لا تزورهم إلا قليلاً.. كي لا تلتقي بوالدها.. وفي يوم.. كانت عندهم في زيارة.. وبينما هي في غرفة الضيوف تنظفها.. وإذ به يدخل عليها.. وعيونه تطلق الآهات الحيوانية.. وراح يقترب منها كالعاصفة.. عندما تهاجم حديقة الزهور في أيام الربيع. أطلقت صرختها المدّوية وضاع صوتها بين هدير أمواجه التي تشبه أمواج البحر في ليالي الشتاء العاتية وبدت كالقبطان الذي أخذته الأمواج تتلاعب في مركبته وهو يحاول بكل تمسكه وحبه للحياة.. أن ينتصر في هذه المعركة الطاحنة.. وعندما شعر بانتصارها عليه قذف في وجهها قنبلته المدويّة.. حين قال لها: إنك ترهقيني.. وتعذبينني بكلمة والدي.. فأنا لست بوالدك.. ارتعشت أوصالها.. وجحظت عيناها.. وماتت الكلمات بين شفتيها.. وتراجعت إلى الوراء.. وأمسكت رأسها بين يديها.. وهمست بصوت مذبوح يحتضر.. ماذا قلتَ؟؟ إنني لم أفهم ولم أصدق.. قال: بل هذه هي الحقيقة التي كان يجب أن تعرفيها منذ زمن. وراحت تردد كلمة: لستَ والدي.. إذاً من تكون؟ وكيف عشت كل هذه السنين على أنك والدي؟ وكيف أحمل اسمكَ؟.

وجئت الآن تقذف في وجهي قنبلتك المدمرة.. أريد أن أعرف..!! ثم تهاوت فوق المقعد متهالكة.. تغسل وجنتيها من نهر دموعها.. وقد هدمتها المفاجئة.. وصعقها الخبر وجلست منهارة تطلق نظرات تائهة.. مذهولة.. تنتظر الجواب على سيل أسئلتها.. لحظات.. حسبتها دهراً.. وقال لها: أجل.. أنا ليس والدكَ.. لأن أمك عندما عادت إلي بعد أن كنا منفصلين.. كانت حامل بك من رجل آخر.. ولم اكتشف هذا الأمر إلا حين ولدتك.. وقد ثُرتُ عليها.. وهددتها بالطلاق.. فتوسلت إليّ كثيراً أن أستر عليها وأسجلك على بطاقتي.. وقد فعلتُ ذلك إكراماً لوجه الله تعالى ولكنها لم تحمل لي

هذا الجميل.. وقد عادت إلى المشاكل معي.. وطلبت الطـــلاق مــرة ثانية.. بعد أن أنجبت أختيك الاثنتين.. وكما تعلمين.. إنها تزوجــــت غيري وأجابته من بين دموعها: أريد أن أعرف من هــو والـــدي.. أجابها بلهجته الحيوانية: لا أدري.. إذهبي إلى أمك.. واســـأليها قــد تفيدك أكثر مني. سكن الصمت على صفحات وجهها.. وعُقد لسانها.. وتاهت في بحر أفكارها.. كيف تواجه أمها؟ وماذا تقول لها؟ وبعـــد كل هذه السنين. وبأي صيغة سوف تسألها؟ هل توجه لهـــا الاتهـام وتهاجمها.. أم تتوسل إليها لعلها ترحمها وترشدها إلى والدها.. ثم أين أمها هذه..؟؟ وطرقت في أفكارها.. وتشابكت الأشياء فـــي داخلهـــا وأكلت الحيرة روحها.. ومن خلال ضعفها.. لملمت نفسها.. وخرجت من الغرفة وهي تقول له: أريد العودة إلى بيتي.. حـــاول أن يمنعهـــا ويبقيها إلى أن تعود زوجته وأخواتها من السوق.. ولكنهـــا صممـــت على طلبها.. وأخذت ولديها وخرجت.. دخلت بيتها منهارة.. محطمة النفس.. ولكنها لا تريد أن يشعر زوجها بهذا التهدم الذي هي فيـــه.. ولا يعرف عن الموضوع شيء.. حاولت أن تتماسك وتخفي ما بهـــا قبل أن يعود زوجها من عمله.. وكانت قد أخذت قراراً بأن تذهب إلى أمها لتسألها عن والدها.. وبعد فترة زمنية قصيرة.. ذهبت إلى أمها.. وبعد جلسة قصيرة كانت الحيرة والارتباك باديان عليهـــا.. حـــاولت أمها أن تعرف سبب ذلك.. وقد رأت ابنتها مضطربـــة علـــى غـــير عادتها.. لملمت ريم نفسها.. وأشتات أفكارها.. قذفـــت إليهـــا بســـر شبابها.. وعشق صباها الذي دفنه الزمن سنين طويلة.

لقد صعقت الأم بهذا الخبر.. وبدت مذهولة.. وراحـــت تســـأل بشيء من الخجل والخوف من فضيحتها أمام ابنتها.. من أين علمـــت بهذا الموضوع الذي أكلته نيران الماضي وابتلعته الأيـــام الغـــابرة.. صمتت ريم قليلاً.. وكانت قد انتابها شيء مـــن الخجـــل مـــن هـــذه

المواجهة التي لابد منها.. وقالت: لقد أعلمني الرجل الـــذي سـلمتيه زمام أمري.. وجعلتيه والدي بالغش والخداع. حاولت الأم التملـــص من قول الحقيقة ولكن لم تدع لها ريم فرصة.. وظلت عليهـــا حتـــى انتزعت منها الاعتراف بالحقيقة.. وقد هالها ما سمعت.. بأنها ابنـــة غير شرعية لرجل كانت على علاقة حب به.

سألتها ريم: كيف حدث هذا؟.. كيف رضيتي أن تعـــودي إلـــى طليقك وأنت حامل بي من هذا الرجل الذي أحببته؟.. لماذا لم تتزوجا وتجعليني ابنة شرعية أتربى بين أحضان والدي الحقيقي؟.. لقد كنت مخدوعة كل هذه السنين.. وأنا أظن أن والدي هو هذا الرجل الـــذي حمل سكوته سنين إلى فتاة كان ينتظر بلوغ أنوثتها كي يقطف ثمارها وهو الذي ير؟؟ ويترقبه. وقعت هذه الكلمات على سمع الأم كصاعقة مدمرة وصاحت بصوت مخنوق: ماذا تعني يا ريم؟.. أجهشت ريـــم بالبكاء وأخفت وجهها براحة يديها.. وراحت تنتحب بصوت مرتفع.. واقتربت منها والدتها.. وحاولت أن تضمها إلى صدرها.. وتعـــرف منها تفاصيل ما حدث.. ولكن ريم أبعدتها عنها وهي تقول لها: أيـــن كانت أحضانك هذه عندما كنت صغيرة؟ وتسير الســـنين بـــي نحـــو الصبا.. حيث كنت بأمس الحاجة إلى هذه الأحضان التي فقدت دفء الأمومة.. ونضب عطاؤها لأنها توجهت نحو الأنانية وحب الـــذات.. الذي جعلك تحولين كل معطيات الأمومة إلى معطيات امـــرأة تســـير خلف أخطاءها.. وحياتها الخاصة.

لزمت الأم الصمت وراحت دموعها تغسل ندم عمرها.. وخطـــأ أيامها.. ولكن ريم أخرجتها من صمتها.. حين أمسكتها مـــن كتفيهـــا وهمست لها بصوتها المبحوح.. الذي مزقته نبرة البكاء وهي تقـــول لها: تكلمي.. أريد جواباً..؟؟ أريد سبباً مقنعاً تبرري به عملك هـــذا..

ثم ارتمت على صدرها ودخلتا بنوبة بكاء مرير. أشاحت الأم بوجهها إلى الجانب الآخر خوفاً من أن تلتقي نظراتها بنظرات ريم وأجـــابت بصوت ضعيف متقطع: كانت الظروف يا ريم أقوى مني فـــي ذلـــك الوقت.. وأنتِ صغيرة ولا تدركين من أمور الحياة شيء. قالت ريـــم من خلال دموعها: ولكن.. لستُ صغيرة.. بل إنني أستوعب وأفهـــم وأقول: لا يوجد سبب يجعلك تفعلين ما فعلتيه.. قالت الأم: ماذا أقول لك يا ريم..؟ آه يا ريم..!! إنك تفتحين جروحاً مضى عليها ســـنين.. ظننت أن الزمن قد شفاها.. وصمتت لحظة وعادت للحديث.. وكانت ريم تصغي إليها بحرقة وتريد أن تسكب عليها الكلمات بسرعة.. كي تريح نفسها من عذاب الانتظار واللحظات التي بدت لها دهراً. فقالت الأم: ريم.. إن هناك أموراً كثيراً تتحكم في مصير الإنسان وتقف في طريق توجهاته.. فهو في معظم الحالات.. مسير.. وليس مخير.. لقد أحببت والدك.. وعشنا حالة عشق.. ورسمنا طريق حياة مشـــتركة.. ولكن هناك أنظمة الأُسر.. وقوانين المجتمعات التي تفرض نصوصها على الأفراد.. وتهدم كل ما هو جميل.. لقد كـــانت هـــذه العـــادات والتقاليد السيف الذي أُغمد في قلب حياتنا وأوقف نبضها.. قالت ريم: ولكن كنت تعرفين هذا الأمر قبل أن تتورطي معه.. وصمتت ريـــم خوفاً من أَن تسمعها كلاماً جارحاً.. وأطرقت رأسها خجـــلاً.. ولـــم تجب لقد فتشت عن كلمات تجيب بها فلم تجـــد.. وطـــالت لحظـــات الصمت بينهما.. إلى أن عادت ريم لسؤالها حين قالت لها: أماه.. أنا الآن لست هنا لأحاسبك عن ماضٍ كان ملكك وحـــدك وإنمـــا جئـــت أبحث عن حق لي عندك وهو أن أَعرف من هو والدي وأين يقيـــم؟ رفعت الأم رأسها وراحت تنظر إليها نظرات تائهـــة وقـــالت لهـــا: الأفضل لك ألا تبحثي عنه.. ولا تفكري به.. قالت ريم: هذا حقـــي.. ولن أتنازل عنه.. هيا.. قولي.. أين هو..؟ ولن أسألك بعدهـــا عـــن

شيء.. تنهدت الأم بعمق وقالت: اسم والدك عبد الرحمن الفيصـــل..
وهو ا لآن يعيش في بلد عربي منذ افترقنا.. لأنه تزوج من تلك البلد
وأخذ الجنسية.. ولم أسمع عنه أي خبر آخر ولا أعرف له عنـــوان..
خمدت أنفاس ريم.. ولف حبل اليأس عنقها.. وكاد يخنقها.. وتهدمت
نفسها فأغمضت عينيها.. وراحت بشبه غيبوبة.. وهمست: ما الفائدة
مع معرفة اسمه أو البلد الذي يعيش فيها.. إذا كنتُ لا أعـــرف لـــه
عنوان.. انصهرت روح الأم وغاص قلبها لحال ابنتها لما أصابها من
يأس.. وآلام.. فاقتربت منها.. وضمتها إلى صدرها.. واستســـلمت
ريم لأحضان أمها التي حُرمت منها سنين طويلة.. وراحت في نوبة
بكاء ونحيب.. فقالت لها الأم: لا تحزني يا ريم.. لابـــد أن تجمعـــك
الأيام به.. عادت ريم إلى بيتها وهي منكسرة القلب جريحة الروح..
يسكن فكرها ذلك الأب الذي حُرمت من حنانـــــه ورعايتـــه وبـــدأت
خواطر كثيرة تغزو رأسها وترعبها وهـــي.. أن يكـــون هـــذا الأب
المجهول قد مات وأصبحت روحها عليلة ونفسها سقيمة.. ولـــم تعـــد
الحياة عندها لها طعم.

وسارت بها الأيام مملة.. إلى أن أضاءت شمعة في ظلمة أيامها
وسواد ليلها وكان ذلك يوم جاء زوجها برجلٍ خبير ديكور كي يغـــير
بعض الأشياء التالفة في الشقة وكان هذا الرجل واسمه شاهر من بلد
عربي وهي نفس البلد التي يعيش فيها والدها وعندما سمعت ريم اسم
البلد.. قفز قلبها من بين ضلوعها وراح يلوح لها الأمل من جديد فهي
سوف تقص عليه حكايتها.. وتسأله المساعدة.. لقد صور لها عقلهـــا
بأنه من السهل أن يجد هذا الرجل مكان والدها.. دخل شاهر بيتهـــم
وبدء عمله.. وراحت هي تفكر بطريقة تكلمه فيها.. وتتعرف عليـــه
من خلف زوجها.. ولم يصل بها الأمر حتى وجدت فرصـــة غيـــاب
زوجها.. وراحت تكلمه.. وتتجاذب معه أطراف الحديث وتكـــررت

هذه الحالة مرات.. إلى أن أصبح بينهم تعارف واسع.. وكانت قد اطمأنت له.. ولمست مزاياه الطيبة.. وأثناء حديثه معها.. طلبت منه المساعدة في أمر.. وبعد أن حصلت على وعد منه.. راحت تقص عليه حكايتها.. ووعد الشاب بأن يظل إلى جانبها ويقدم لها المساعدة إلى أن تجد والدها.. وراحت المودة بينهم تكبر.. والعاطفة تقوى.. إلى أن جمع الحب بين قلبيهما وكان الشيء الذي يجمعهما هو شعور الغربة المشتركة..

فهو كان في بلد غريب.. وهي تعيش غربة الروح والأسرة. أنهى شاهر عمله في منزلها وظل على صلة بها عبر الهاتف.. وكانوا يمضون ساعات وهم يشكون لبعضهما ظلم الزمن وقسوة القدر عليهما.. وكانت ريم لا تفتأ أن تسأله إذا كان يوجد خبر جديد عن والدها ولكن لم يصلها ما يطفأ نار قلبها. وفي أحد الأيام.. ضرب جرس الهاتف في بيتها على غير موعد.. وسارت ريم ببطء.. ورفعت السماعة ومجرد ما همست: آلو.. صاح شاهر: ريم:. لقد تحقق حلمك يا حبيبتي.. لقد رقص الحظ لنا أخيراً.. صاحت ريم: شاهر.. ما الأمر..؟ لقد شغلتني.. قال لها: لقد أمسكت أول الخيط الذي يقودنا إلى والدك. وصمتت ريم قليلاً ولم تقل أي شيء وكأن المفاجأة عقدت لسانها. وكان شاهر ينتظر منها صرخة مفرحة.. أو أي شيء يعبر عن سعادتها.. ولكن.. لم يسمع ما ينبئ عن فرحتها صاح بها: ريم.. لماذا هذا الصمت..؟ ألم تسمعي ما قلت..؟ ألم يفرحك هذا الخبر..؟ وأيقظتها كلماته فصاحت بفرحٍ هستيريٍ: ماذا قلتَ؟؟ إنني لا أصدق!! كنت أحسب نفسي في حلم.. قل لي.. كيف عرفت..؟ وأين هو؟؟ ومن الذي أبلغك عنه؟؟.. وكانت ترش كلماتها.. كحبل مطر في ليلة شتاء. ضحك شاهر عبر الهاتف وهو يقول لها: مهلاً.. مهلاً عليّ.. كيف سأجيب وأنت تمطرينني بكل هذه

الأسئلة؟.. همست ريم باستسلام: حسناً.. أخبرني.. وقص علي ما حدث بالتفصيل.. قال: لقد تعرفتُ على شاب من بلد عربي هنا في البقالة المجاورة لكم.. حيث كنت أشتري منها طيلة مدة عملي عندكم ودار بيننا حديث مطول حول البلد والغربة.. وإلى آخر الأحاديث.. ومن خلال تكرار أحاديثنا.. علمت منه بأنه يعرف والدك.. وهو على استعداد كي يرشدنا إليه.. صاحت ريم فرحةً: أصحيح ما تقول يا شاهر..؟ إنني لا أصدق ما أسمع!!. قال: بل صدقي وعما قريب سوف تسمعين أخباراً جميلةً. وكان شاهر قد أخبرها بنصف الحقيقة وليس كلها.. خوفاً عليها من ردة الفعل.. والصدمة. ولقد اتفق مع فيصل على هذه الطريقة.. وقد اكتفت ريم بما سمعت.. وأغلقت السماعة وراحت تسرح مع أفكارها.. وتعانق أحلامها.. وترسم صور وملامح وجه والدها.. وتتخيل نفسها ترتمي بين أحضانه وهو يعانقها بكل شوق البعد.. وحنان الأب.. تتدفق عواطفه. وبدأت تعد الساعات والأيام.. كي يأتيها خبراً يحمل بين أجنحته حلم أيامها وحرمان سنينها.. وبين الماضي والحاضر.. عزف موسيقى الهاتف في غرفتها.. وكانت نغماته سريعة.. بسرعة أحلامها وأمانيها.. وركضت إليه.. ودقات قلبها تسبقها.. رفعت السماعة وهمست بصوت مضطرب.. نبراته ترتجف.. أنها أكيد سوف تسمع خبر عمرها.. ولحظات مولدها.. وعندما سمع صوتها قال لها بصوت يعج بالسعادة والبهجة: ريم.. أمسكي أعصابك على هذا الخبرْ الذي أحمله إليك.. صاحت فرحة: قل يا شاهر.. هل وجدت أبي.. قل بالله عليك. بسرعة.. فأنا لم يعد لدي أعصاب لأحتمل. قال: لقد اقتربنا منه كثيراً.. أجابته وقد خف حماسها لشعورها بخيبة الأمل.. كيف حدث هذا؟؟. رد: هل تذكرين ذلك الشاب الذي قلت لك أنني تعرفت عليه منذ فترة على أنه من بلدي.. قالت: أجل أجل ما به؟ هل أتاك بخبر

جديد؟ تنهد بعمق وكأنه يستعد لخوض معركة وقال بتلعثم: إن هـــذا الشاب هو أخوك!!.. أطلقت ريم صرخة تحمـــل تناقضـــات نفســها وتشابك مشاعرها.. وفرحة لحظاتها: ماذا قلتَ يا شاهر؟ قـــال لهـــا بلهجة رقيقة وصوت دافـىء: ريم.. أرجو أن تهدئي وتسمعي ما أقول جيداً. صمتت ريم وراحت تستمع إليه باهتمام بالغ وهو يقص عليهـــا حكاية تعرفه على أخاها الذي أرسله والدها من بلـــد الغربـــة وزوده بمعلومات عن أمها وأين تقيم لعلمه بمكان زوجها القديـــم.. وكيـــف تقصى فيصل الأخبار.. وكم بذل من جهد وتعب إلى أن جمـــع كـــل أخبارها وأتى إلى هذه البقالة كي يكون على مقربة منها.. ويحصـــل على أخبارها أو يستطيع أن يراها ويكلمها.. وكيف جمعت الصدفـــة الحبيب والأخ معاً.. وقد عرف فيصل بأن شاهر يحب ريم قبـــل أن يعرف شاهر بأن فيصل هو أخاها.. وعندما انتهى شاهر من ســـرد قصته مع أخاها كانت ريم قد ذرفت سيلاً من الدموع عـــبر الهـــاتف وراحت في نوبة بكاء هستيرية وبدأ شاهر يهدأ من نفسها ولكنها لـــم تستطع متابعة المكالمة فأغلقت السماعة.. وارتمت فوق سريرها تبكي مرارة قلبها ولوعة نفسها.. وقد مضت الأيام بها لتغير كـــل شـــيء بتصرفاتها وبطباعها مع زوجها.. وفي حالتها النفسية. وقـــد لاحـــظ زوجها هذا التغيير وكم تساءل عن سبب تغير نفسها.. لكنه لم يجـــد جواباً.. إلى أن تدخلت الصدفة مرة أخرى في حياتها.. حيث دخـــل زوجها في إحدى الأيام عليها فوجدها مغموسة في كتابة شيء وهـــي تبكي بدموع محرقة.. وكانت تبكي خلجات قلبهـــا وشـــوق نفســها.. ولوعة روحها على أباً.. يحرقها الشوق إلى رؤيته.. وأخـــاً.. هـــو قريب منها.. ولكنها لم تستطع أن تراه وهو الذي يعيش في روحها.. منذ ذلك اليوم الذي أخبرها به شاهر بأنه موجود. قريباً منها.. وكانت تلك الكلمات هي نبع عواطفها.. ورحيق روحها. دخل زوجها علـــى

أطراف أصابعه.. واختطف منها تلك الورقة وأخذ يقرأهـــا.. وهـــي تنظر إليه من بين دموعها والدهشة والذهول يخيمان علـــى تقـاطيع وجهها.. وبعد أن أنهى قرأتها.. أمسكها من كتفها ورفعها إلى فوق.. وراح يهزها ويصرخ فيها بانفعال عصبي.. إلى من هــذه الخـاطرة وهذه الكلمات الشاعرية؟ ومن هذا الرجل الذي اسمه فيصل؟.. تاهت نظراتها بين تقلصات وجهه.. وابتلعتها صرخاته الهـــادرة كتلاطـم الأمواج.. وراحت ترتجف بين يديه وهي لا تدري ماذا تقول له.. أو كيف تبرر كتابتها وقد صعقتها المفاجأة دقائق مرت عليهـــا وكأنهـــا سنين.. عُقد لسانها.. ولم تستطع الجواب وهو يصرخ فيها: أجيبـــي علي وإلا قتلتك.. وتحت ضغط أصابعه علــــى ذراعيهـــا وصوتـــه المدوي.. أجابته بصوت محشرج: كيف أشرح لك وأنـــا فـــي هـــذه الوقفة؟ اتركني كي أخبرك.. تراخت يديه من على ذراعيها.. وخمـــد صوته قليلاً.. ووقف ينتظر جواباً.. وابتعدت عنه قليلاً وأخذت تخفي تلاحق أنفاسها.. وتهدئ من ضربات قلبها.. وقالت له: هناك سر في حياتي.. لا أستطيع أن أقوله.. لأنه يخص أفراداً آخرين.. حرصـــوا سنين طويلة على إخفاءه ولكن صدقني وأقسم لك.. بأن هذا الرجـــل هو أخٌ لي.. ولكني لم أره يوماً.. وأنا أعيش على حلم لقاءه.. غرس نظراته التي تتطاير شرراً وكز على أسنانه.. وقال لها: إن هذا الكلام لا يقنعني ولا يوضح لي ما أريد معرفته.. قولي كل ما عنـــدك مـــن أمور أنا أجهلها.. وإلا سوف يكون آخر يوم لك فـــي هـــذا البيـــت.. راحت تتوسل إليه.. وترجوه أن يعفيها من بوح سر حياتها.. ولكنه لم يدعها.. وصمم على ذلك الجدال.. وطال الجدال بينهما.. وتوصل به الأمر إلى صفعها على وجهها.. ولكنها ظلت مصممة على رفض قول ما يريد معرفته.. وكانت الفاجعة.. لقد طلقها.. وأخـــذ منهـــا أولادها الثلاثة.. وعادت إلى بيت أخوتها.. محطمة النفس.. محملـــة

بالهموم.. وعذاب الروح. استغرب أهلها موضوع طلاقها.. وسألوها عن السبب فلم يعرف أحد وكان ما يُسكن روح ريم من آلام وعذاب شيء بعيد عن موضوع الطلاق وقد راح أخوها يرقبها.. ويراقب تصرفاتها.. وقد وضع مراقبة على جهاز الهاتف.. ليتنصت على مكالماتها.. وقد سجل مكالمة لها مع أخيها فيصل.. وكانت كلماته حميمة جداً.. فبكت فيها كثيراً.. وتوسلت إليه بأن يجد لها حلاً ويأخذها إلى والدها.. وكانت تقول له: لقد خرب بيتي وطلقني زوجي.. وحرمت من أطفالي.. وهذا كلهُ يهون أمام لقائي بوالدي.. عندما سمع أخاها هذا الكلام على الشريط.. أفرغ البيت من زوجته وأولاده وجاء بريم.. وراح يحقق معها: من هذا الرجل الذي يدعى فيصل؟ ومن هو الرجل الآخر الذي تريد لقاءه.. وقد صعقها الموقف.. وأذهلتها المفاجأة؟ لماذا يحدث لها كل هذه الأشياء.. وتتلاحق المصائب وراء بعضها.. وتنهال فوق رأسها كالصاعقة.. ماذا تفعل؟.. وكيف تتخلص من هذا المارد الجبار؟ فقد انتهت مشكلتها مع زوجها بالطلاق.. ولكن مع أخيها.. كيف ستنتهي مشكلتها إنه ظالم وقاسي القلب.. لا يرحم.. لقد انقض عليها كوحش حين ينقض على فريسته وأنشب أظافره على رقبتها.. وراح يضغط عليها بقوة.. يريد خنقها.. وهو يزمجر ويرعد كالبرق حين يشق كبد السماء، كانت لحظات قاتلة.. رأت فيها الموت ألواناً وعذاباً.. يفوق عذاب الجحيم.. ولم يبقَ أمامها سوى الاعتراف بكل ما بداخلها وما أصابها من الدنيا وعندما عرف أخاها أنها قد عرفت الحقيقة.. وتريد أن تذهب إلى والدها الحقيقي.. وتطالب بهذا الحق منه.. وقالت له بكل جرأة استمدتها من لحظات ضعفها.. حيث كان الموت يقترب منها: إنني عرفت والدي وأخي الحقيقي الذي كان يجب علي أن أعيش معه وبكنف والدي بدلاً من أن أعيش مع عائلة غريبة عني.

أخذته المفاجأة.. وأحتار ماذا يقول لها أو كيف يرد عليها.. وتملكـــه الارتباك.. حين شعر بخطر الفضيحة.. وسرّ أمه بعـــد أن أخفيـاه سنين طويلة. تركها وانصرف.. وراح يفكر في طريقـــة ليتخلــص منها حفاظاً منه على السرّ خاصة.. بعد أن رأى التصميم بادياً علـــى ملامحها وهي تطالب بالذهاب إلى والدها.. وكشف الحقـــائق التـي تسيء إلى كل أفراد الأسرة.. وبعد تفكير عميـــق.. توصـل إلــى طريقة.. وهي أن يدعي جنونها.. ويدخلها مشفى للأمراض العقليـــة. وبدأ ينفذ الخطة فوراً وسريعاً.. وقد راح ينهي معاملة دخولها إلـــى المشفى.. وأخبرهم عن حالتها.. بأنها تتوهم أشياء كثيرة وأنها تكلـــم نفسها وترى الجن.. وتخبرهم بذلك.. وقد ضربها ضربـــاً مبرحـــاً.. وكبلها بالحبال.. وأخذها إلى المستشفى على أنها تؤذي مـــن حولهـــا لذلك قيدها. دخلت المستشفى ورضخـــت لفحوصـــات طبيـــة دقيقـــة ومراقبة صحية.. فتبين لهم بالنتيجة أنها سليمة وليس بها أي مـــرض عقلي.. أو عصبي. وكل ما كانت تعاني منه.. حالة نفسية قلقة لمـــا تعرضت له من ضغوط.. أمضت شهراً مع أصنـــاف متعـــددة مـــن المجانين.. كان شيء قاتل ومميت.. وهي تعيش بين هـــذه العقـــول المريضة التي جعلتها في رعب دائم. حين تبين لهم سلامة عقلهـــا.. أرسل إلى أهلها ليستلموها.. أُخرجت من المشفى ونقلها أخوها إلـــى بيت والدها.. وبدأت رحلة تعذيبها على يد الجميـــع.. وهـــي قضيـــة ميراثها.. كيف ستأخذ أموالهم وهي ليست ابنتهم الشرعية. فقد أجمع الكل على أن ينتزعوا منها حق الإرث فسجنوها في غرفة مظلمـــة.. وأقفلوا عليها.. وهي مقيدة بالحبال.. ومغلق فمها بلاصق.. ومنعـــوا عنها الطعام والشراب.. إلا الشـــيء اليســير.. حتـــى لا تمـــوت.. وضربوها ضرباً مبرحاً وقد كُسر كتفها من شدة الضرب.. وهددوها بالقتل إذا لم تتنازل عن حقها في الميراث. وراحـــت ريـــم ترفـــض

التنازل ليس من أجل المال.. ولكنها اعتبرتها ورقة رابحة.. تساوم بها كي تحصل على حقها بالذهاب إلى والدها والزواج بمن تحب.. وتجلدت كثيراً.. وتحملت العذاب الشديد علّها تُحصّل شيئاً من حقها.. ولكن ذهب كل ما نالته من عذاب أدراج الريح.. فمُنعتْ من أي اتصال خارجي.. وقالوا لها.. لن نزوجك الذي تريدينه.. ولن تذهبي إلى والدك كي لا تسببي لنا فضائح.. وتفشي سراً طوته السنين.. وراحت هي تتوسل إليهم وتقسم إيماناً بأنها لا تريد أن تضرهم بشيء.. ولا تريد مالاً.. ولا إفشاء سرهم.. فقط.. تريد الزواج من هذا الرجل والذهاب إلى والدها.. وتتنازل وقتها عن كل ما تملك وكل ما يريدونه منها. ولكن تمزق صوتها.. وأُعدمت توسلاتها في ساحة الظلم وحب الذات.. ولم يجتاز صوتها مساحة حلقها.. وظلوا يمارسون قسوتهم وظلمهم عليها.. وجنح بهم الإجرام إلى أن بدأوا يأخذونها إلى السحرة والمشعوذين.. بحجة أنها مسحورة فيقوم المشعوذين بضربها كي يُخرجوا الجن منها.. ومع ذلك لم يستطيعوا الحصول على تنازل منها فلجأوا إلى آخر ورقة يلعبون بها.. وهي اللجوء إلى الشرطة على أنها هربت من البيت مع رجل تحبه. دخلت السجن وهي في حالة نفسية قاتلة.. لا تدري أين هي..؟ ولا لماذا دخلت هذه المقبرة.. ولكنها على أية حالة.. كان لها هذا السجن أرحم من حياتها معهم.. وتعذيبها. وقالت لنفسها: طالما أصبحت في حماية الحكومة.. لابد لي من أن آخذ حقي.. وسوف أكشف كل الأمور التي يحاولون قتلي من أجل دفنها.. وأطالب بنسبي من والدي الحقيقي.. وأمام المحقق أجبروها على التنازل عن كل حقوقها في الميراث.. وكتبت إقراراً بذلك.

كانت تحلم بأن يدعوها وشأنها وقالت: لن أخرج من هذا السجن إلا.. إلى بلد والدي.. أو زوجة لتامر. ولكن الجهة التي لجأت إليها

هي أكثر قسوةً.. وأبعدُ ظلماً.

إنها حكومة ضاع فيها الحق.. وتوسع بها الظلم.. وانتهكت فيها الحقوق.. فكانت روح ريم وقوداً لنار مشتعلة.. ومشتركة.. بين أهل ظلمة.. وقانون عفن يعزف على أوتار أفكار عقيمة.

فهرس

الصفحة



وليدة عتو

صدر لها:

١ - امرأة لا تعرف الخوف - رواية

دار الكنوز الأدبية ١٩٩١

٢ - رحلة في قطار العمر

مجموعة قصصية

دار الكنوز الأدبية ١٩٩٢

٣ - جرس الهاتف - مجموعة قصصية

دار بترا ١٩٩٩

٤ - تفاصيل العشق - رواية

دار الفنون ٢٠٠١

